وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم : التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: 20085082317

20113051448

العلاقات بين الجزائر والمغرب 1554_1513

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر LMD في تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبتين:

- خلوفي أمينة
- الوالي مريم

أمام لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1				رئيسا
2	أ.د. كمال بيرم	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقررا
3				ممتحنا

السنة الجامعية: 2021-2022

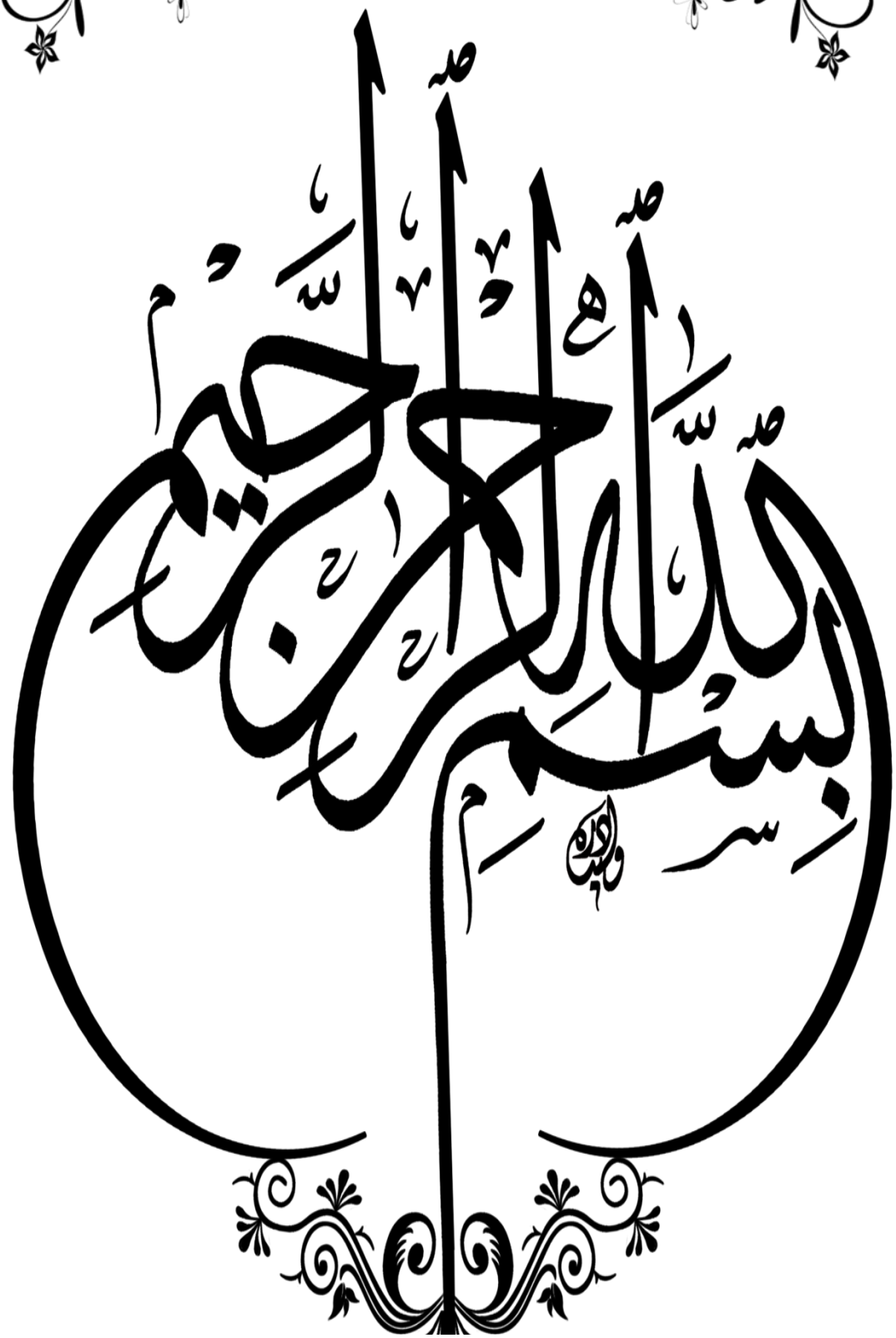

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وصلى اللهم على خير الأنام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

نتقدم بالشكر إلى الدكتور "كمال بيرم" الذي وافق على الإشراف على هذه المذكرة.

وإلى الأستاذ دلوم فريد فؤاد عبد الحليم الذي كان لنا سندا في إنجاز هذا العمل فله كل الشكر والتقدير

ولكل من قدم لنا يد العون في إنجاز هذا العمل سواءً من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى الوالدين الكريمين.

إلى زوجي سندي حفظه الله.

إلى أولادي قرة عيني.

إلى إخوتي.

إلى معلمتي "عايشة معتوقي".

إلى كل من علمني حرفًا.

إلى الزملاء.

أمنية

إهداء

إلى الوالدين الكريمين

إلى إخوتي

إلى كل من علمني حرفًا

إلى الزملاء

مريم

قائمة المختصرات

الاختصار	الاسم الكامل
ص	صفحة
ج	جزء
ط	طبعة
ص،ص	تعدد الصفحات
د.د	دون دار النشر
د.ت	دون تاريخ
د.م	دون مكان
Page	p

مقدمة

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

مقدمة:

*** التعريف بالموضوع:**

في الوقت الذي كانت فيه بلاد المغرب منقسمة على نفسها، كان المغرب الأقصى تحت حكم بني مرين، ثم الواطاسين فيما بعد، وكان المغرب الأوسط تحت سلطة وحكم بني زيان، والمغرب الأدنى يسيطر عليه بنو حفص، بالمقابل كان المسيحيون في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال) يزدادون وحدةً وتماسكًا، خاصةً بعد الوحدة الإسبانية بالزواج السياسي الشهير بين ملك قشتالة "**فاردينانـد**" وملكة آراغونة "**إيـزابيلا**"، والذي كان من أول نتائجه سقوط إمارة غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس عام **1492**، كما غدت إسبانيا على درجةٍ كبيرة من القوة، خاصةً في عهد "**شرلكان**"، ثم على يد ابنه "**فليب الثاني**"، ولم يكتف الإسبان بطرد المسلمين من أراضيهم، بل راحوا يغزون سواحل بلاد المغرب، خاصةً القسم الأوسط والأقصى منه، وهو القسم موضوع الدراسة.

*** أسباب اختيار الموضوع:**

إن اختيارنا لموضوع "**العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى**" برجع بالدرجة الأولى إلى:

– قلة البحوث والكتابات في هذا الموضوع، إذ نجد قلةً من الباحثين والمؤرخين الذين كتبوا في هذا الموضوع.

– الاهتمام بتاريخ بلاد المغرب الحديث، وما حملته تلك الفترة من تحولات وجب نفض الغبار عليها.

– ميول شخصي ورغبة جامحة نحو هذا الموضوع.

*** إشكالية البحث:**

يعد موضوع العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى مظهرًا من مظاهر تاريخ البلدين الحديث، خاصةً عقب الوحد الإسبانية، وبروز العثمانيين في غرب المتوسط كقوة فاعلة في تلك الفترة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى خضوع البلدين لنظامي حكم متباينين.

وانطلاقًا من ذلك يمكن صياغة إشكالية هذه الدراسة التي تتمحور حول "**العلاقات بين الجزائر والمغرب 1513-1554**" فيما يلي:

- ما طبيعة العلاقات بين البلدين في تلك الفترة والعوامل المؤثرة فيها؟

ومن هنا تبرز تساؤلات مرتبطة بمحور الإشكالية:

- ما هي أهم مظاهر العلاقات؟

- ما هي العوامل المتحكمة في ذلك؟

- إلى أي مدى أثرت هذه العلاقات على القطرين؟

*** المناهج المستخدمة:**

إن طبيعة الموضوع وتفرع جوانبه حتمت علينا استخدام المناهج التالية:

- المنهج التاريخي الذي يساعدنا في وضع الظاهرة المدروسة في محيطها وظروفها الأساسية، والغرض من استخدامه هو استقراء الظروف والأسباب المتحكمة في العلاقات بين البلدين في الفترة المدروسة في مختلف جوانبها.

أ- المنهج التاريخي الوصفي لوصف هذه الظاهرة المدروسة، وذلك أن الموضوع يتعرض إلى ماهية العلاقات وأسبابها والعوامل المتحكمة فيها، ووصف البيئة الجغرافية والديمغرافية للبلدين.

ب- المنهج التاريخي التحليلي والغرض منه تحليل الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية التي ربطت البلدين، واستكشاف العوامل المتحكمة في ذلك.

*** مجال وحدود البحث:**

تسعى هذه الدراسة إلى محاولة تحليل ظاهرة العلاقات بين الجزائر والمغرب في الفترة الحديثة، والوقوف على عدة جوانب كان لها الأثر في ذلك.

واستنادًا إلى ذلك قمنا بتحديد موضوع دراستنا وفق إطار زمني والغرض منه حصر وتركيز نطاق الدراسة، وهذا منذ عام **1513** إلى غاية **1554** تاريخ سقوط الدولة الزيانية

بالمغرب الأوسط على يد العثمانيين، وبداية سقوط الحكم الوطاسي واعتلاء سدة الحكم من طرف السعديين بالمغرب الأقصى.

*** خطة البحث:**

تتكون هذه الدراسة من **مقدمة**، و**ثلاث مباحث** و**خاتمة**، وهي كالآتي:

المبحث الأول: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب

تطرقنا فيه إلى أوضاع المغرب الأوسط من ظهور العثمانيين، وأوضاع المغرب الأقصى تحت حكم الوطاسين ثم السعديين، وأهم العلاقات السياسية بين أتراك الجزائر بالوطاسين والسعديين.

أما **المبحث الثاني** الموسوم بعنوان: **العلاقات الاقتصادية**

فعرجنا فيه على العوامل المؤثرة على العلاقات الاقتصادية بين البلدين، وأهم المظاهر الاقتصادية، بالإضافة إلى أهم مراكز التبادل التجاري بين البلدين.

أما **المبحث الثالث** والأخير فهو معنون: **بالعلاقات الاجتماعية والثقافية**

وعرجنا فيه على أهم العوامل المؤثرة في تلك العلاقات، وأهم مظاهرها، وختمناه بأهم مراكز التبادل الثقافي بين القطرين.

*** مصادر ومراجع البحث:**

استخدمنا في دراستنا مصادر ومراجع تتناول الموضوع سواءً بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، ونذكر منها:

- المصادر:

* مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، وهو مصدر على درجة عالية من الأهمية، لأن صاحبه أحد صناع القرار في تلك الفترة.

* مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، وقد اعتمدنا عليه في وصف حالة بلاد المغرب.

- المراجع:

* جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث، وهو من أهم المراجع في تاريخ الجزائر الحديث.

* ناصر الدين سعيدوني: الجالية الجزائرية بالأندلس واسهاماتها...، وهو رائد الدراسات العثمانية بالجزائر.

*** صعوبات البحث:**

لا شك أن البحث في مثل هذه المواضيع الواسعة الجوانب والتعقيد تخلق أمام الباحث صعوبات متعددة من بينها:

- قلة المصادر ونوعية المراجع التي تعالج الموضوع.
- طبيعة الموضوع الذي يعرج على جوانب متشعبة من العلاقات.
- صعوبة التوفيق بين الدراسة والعمل والبيت.

المبحث الأول

العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

المبحث الأول

العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب

المطلب الأول: مدخل المغرب الأوسط وظهور العثمانيين

المطلب الثاني: المغرب الأقصى تحت الحكم الوطاسي وبداية الحكم السعدي

المطلب الثالث: علاقة الزيانيين وأتراك الجزائر بالوطاسين والسعدين

المطلب الأول: المغرب الأوسط (الجزائر والأوضاع)

أ- كان المغرب الأوسط تحت حكم الزيانيين **(633-958هـ/1231-1551م)** الذين أصاب دولتهم الضعف مطلع القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، خاصةً بعد أن تمكن الإسبان من احتلال المرسى الكبير سنة **(911هـ/1505م)** ثم وهران سنة **(914هـ/1509م)** الأمر الذي دفع المدن الساحلية ومنها دلس والجزائر وشرشال ومستغانم وتنس على تقديم ولائها للإسبان[1]. خشية أن يكون مصيرها مثل مصير مدينة وهران، وهي نفس السياسة التي انتهجتها القبائل القريبة من المناطق الداخلة، وهذا ما فرض حصارًا اقتصاديًا على الدولة الزيانية حتى تنازع سلاطينها الحكم، وأصبح كل طرف يستعين بقوة خارجية، فاستعان بعضهم بالإسبان وبعضهم الآخر بالعثمانيين [2]، الأمر الذي أفقد الرعية ثقتهم في السلاطين الزيانيين ووسع الهوة بينهم، وزادت الهوة بينهم بعد وقع السلطان "**أبو حمو الثالث الزياني**" معاهدة صلح مع الإسبان سنة **(918هـ/1512م)**، وهو ما دفع بهم- الرعية- إلى الاستنجاد بالعثمانيين[3].

وقد ألحق احتلال إسبانيا للمناطق الساحلية أضرارًا بالمناطق الداخلية التي كانت تعتمد في اقتصادها على المناطق الساحلية، وهو ما أدى إلى ظهور زعامات دينية دعن إلى مقاومة الاحتلال الإسباني واستنجدت بالقوات العثمانية التي كانت تجوب الحوض الغربي للمتوسط، والذين استقروا بجيجل سنة **(920هـ/1514م)**، ثم بمدينة الجزائر سنة **(922هـ/1516م)** ثم توغلوا إلى باقي المناطق حتى تمكنوا من اخضاع المغرب الأوسط كله، وأطلقوا عليه اسم الجزائر[4].

---

[1] أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 17472-1795، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 66.

[2] مذكرات خير الدين بربروس: تر: محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 132.

[3] عبد الرحمن بن حمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 224.

[4] عزيز سالمح آلتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1999م، ص 80.

ب- ظهور العثمانيين بالمغرب الأوسط (الجزائر)

بعدما استكملت إسبانيا وحدتها السياسية خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، وباسترداد آخر إمارة إسلامية بالأندلس- إمارة غرناطة-سنة **(977هـ/1492م)** وأصبحت قوةً لا يستهان بها في الحوض الغربي للمتوسط[1]. راحت تنقل الحرب نحو بلاد المغرب، وقد ساعدها على تحقيق هدفها هذا حالة الضعف والتفرقة والصراع الداخلي الذي كانت تعاني منه دويلات المنطقة (المرنيون بالمغرب الأقصى، والزيانيون بالمغرب الأوسط، والحفصيون بالمغرب الأدنى)، واستقرار الأندلسيون بالمغرب العربي[2].

فاحتلت العديد من المدن الساحلية لهذه الدويلات، ومن بينها مدن المغرب الأوسط، حيث احتلوا المرسى الكبيرة سنة **(911؟/1505م)**، ووهران سنة **(914هـ/1509م)** وبجاية سنة **(915هـ/1510م)**[3].

دفع احتلال الإسبان لهذه المدن إلى خضوع باقي المدن وخاصةً تلك الواقعة بين وهران وبجاية، ومنها مدينتا مستغانم والجزائر إلى الإسبان وإعلام الولاء لهم، في ظل هذه الأخطار المحدقة بالدولة الزيانية، أرسل سلطانها "**أبو عبد الله محمد الزياني**" سنة **(915هـ/1512م)**[4] وفد إلى ملك إسبانيا مبدئيًا له كامل الولاء والخضوع. لكن رغم ذلك واصل الإسبان احتلالهم لسواحل المغرب الأوسط، فاحتلوا هنين سنة **(938هـ/1531م)**[5].

بالإضافة إلى عدة حملات شنتها الدولة الأوروبية تصدت لها الجزائر ومنها:

---

(1) هوارية بكاي: العلاقات الزيانية المرينية سياسيًا وثقافيًا، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007-2008م، ص 39.

(2)*MOULAY BELHASSIMI: Marine et Marins D'Alger (1518-1830), Bileliotheque National D'Algerie, 1996, P 24.*

(3) أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 67.

(4) مارمول كاربخال: وصف إفريقيا، ج2، تر: أحمد توفيق، سعد الأخضر، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب 1984م، ص 361.

(5) عبد القادر فكاير: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية 1505-1792، ص 75.

- حملة دبغودوفبرا على مدينة الجزائر 1516.

- حملة أندري دوريا على مدينة شرشال 1531.

- حملة شارلكان على مدينة الجزائر 1541[1].

وفي هذه الأثناء كان "**الإخوة بربوس**"[2] يجربون الحوض الغربي للبحر المتوسط بسفنهم ملحقين الخسائر الفادحة بالسفن والشواطئ الأوروبية انطلاقًا من الشواطئ الحفصية بإذنٍ من السلطان الحفصي "**أبي عبد الله محمد**"[3].

انتشرت أخبار بطولات "**الإخوة بربروس**" وذاع صيتهم بعدما ألحقوه من خسائر فادحة بالسفن والشواطئ المسيحية، ومساعدتهم للمسلمين الفارين من الاضطهاد المسيحي بالأندلس، ما جعل أنظار أهل المغرب الأوسط تتجه إليهم، فوجه "**أبز العباس أحمد بن القاضي الزواوي**" رسالةً إليهم يستنجد فيها من الغزو الإسباني المسيحي، فما كان من هؤلاء إلاّ أن لبوا النداء، وأخذ "**أبو العباس بن القاضي**" بحيث الناس على اتباعهم والسمع والطاعة لهم وخاصةً لقائدهم "**عروج**" الذي أصبح هو الباي بينهم[4]، وقد أستقبل "**عروج**" كمنقذ عندنا طلب إليه المواطنون وزعيمهم "**سليم التومي**" أن يقضي على قلعة الإسبان بالجزائر (البنيون) الذي كان يهدد المواطنين[5].

ومن هنا بدأ التدخل العثماني في المغرب الأوسط، والذي كان على المراحل التالية:

---

(1) يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا 1500-1830، دار البصائر، 2009، ص 17.

(2) هم الإخوة عروج وخير الدين وإسحاق وإلياس، أبناء بربروس، من جزيرة "بيلنين" الواقعة غرب السواحل الغربية لآسيا الصغرى، كان والدهم بربروس جنديًا انكشاريًا في الجيش العثماني، ينظر: صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة، 2012م، ص 43.

(3) جون. ب. وولف: الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 28.

(4) مذكرات خير الدين بربروس: المصدر السابق، ص 126.

(5) عبد الجليل التميمي: أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519، المجلة التاريخية المغربية، العدد 06، تونس، 1976م، ص 117.

- **عهد عروج (918-924هـ/1512-1518م).**
- **عهد خير الدين (924-942هـ/1518-1535م).**
- **عهد حسن آغا (940-950هـ/1533-1543م).**
- **عهد حسن باشا بن خير الدين خلال ولايته الأولى (951-958هـ/1544-1551م)**[1].

ويعود وصول العثمانيين الأتراك إلى شرق الجزائر وبالضبط مدينة قسنطينة بين سنتي **(1534-1535م)**[2].

المطلب الثاني: المغرب الوطاسي نحت الحكم الوطاسي (1472-1554م)

1- مرحلة الحكم الوطاسي المباشر (1472-1554م):

مقتل "**عبد الحق بن أبي سعيد المريني**" عام **(869هـ/1465م)** آلت امور فاس إلى "**الشريف أبي محمد عبد الله بن محمد الإدريسي الحبوطي**" الذي ظل يحكم البلاد ويعاونه ابنه كوزير له، إلا أنّ بني وّطاس يمكنوا من استغلال الظروف وقاموا بخلع "**الشريف أبي عبد الله**" عن الإمارة والإمامة في مدينة فاس عام **(875هـ/1471م)**[3] بعد حكم دام **06 سنوات** على يد "**أبي الحجاج يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي**"، لكن فترة حكم "**ابن منصور الوطاسي**" هذا لم تدم إلاّ عامًا واحدًا، إذ انقض على حكمه "**محمد الشيخ بن أبي زكريا الوطاسي**" وزير "**عبد الحق المريني**" معلنًا نفسه سلطانًا على المغرب منذ عام **(876هـ/1471م)** والذي كان قد استولى على أصيلا من قبل متخذًا إياها قاعدةً له، بعدما نجا من نكبة "**عبد الحق المريني**" لآل وطاس[4].

---

(1) مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، تحقيق وتعليق: عبد القادر نور الدين، الجزائر، 1934م، ص 26.

(2) أوجان فايسات: تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1517-1837، دار كنوز يوغرطة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، قسنطينة، 2019م، ص 56.

(3) عبد الله مقلاتي: المرجع في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 2014م، ص، ص 33، 34.

(4) ابن عسكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من تاريخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م، ص 65.

وفي الوقت الذي توجه فيه "**محمد الشيخ**" نحو فاس لمحاصرتها استولى البرتغاليون على أصيلا، حينئذٍ رفع "**محمد الشيخ**" الحصار على فاس وعاد مسرعًا إلى أصيلا يريد استعادتها فحاصرها حصارًا شديدًا، غير أنها امتنعت عنه فاضطر إلى عقد هدنة مع البرتغال[1]، خصوصًا وأنه لم يستطع دخول أصيلا ولا السيطرة على فاس التي كان قد كلف ابن عمه بالحجاج "**يوسف بن منصور الوطاسي**" بمواصلة حصارها، وقد سمحت هذه الهدنة "**لمحمد الشيخ**" بتثبيت حكمه داخل البلاد بعدما استولى على فاص سنة **(877هـ/1472م)** وفرار "**الشريف أبي عبد الله**" إلى تونس، حينها تمت بيعته ليتفرغ إلى تهدئة الأوضاع في المناطق المجاورة لعاصمته، وقتال القبائل المقيمة بأحواز فاس وغيرها من المدن، إلى أن دخلت جميعًا في طاعته[2].

ورغم الهدنة الموقعة وشروطها إلاّ أنّ ملك البرتغال اتجه بقواته نحو مدينة طنجة التي كانت قد استنجدت بالنصرانيين إلاّ أنهم كانوا منشغلين بمشاكلهم الداخلية فلم يقدموا أية نجدة للمدينة، وكان ذلك سببًا في جلاء أعيانها وأثريائها إلى فاس، مما سهل على الجيش البرتغالي مهمة احتلالها في **29 أوت 1471** بعد خمسة أيام من احتلال أصيلا، وفي عهد "**محمد الشيخ**" تمزقت الوحدة السياسية للمغرب، إذ شجع القضاء على دولة بني مرين كثيرًا من شيوخ القبائل على إعلان استقلالهم وفتح الأبواب على مصراعيها لذوي الطموح السياسي فلم يعد يوجد ما يردعهم[3].

---

(1) اضطر محمد الشيخ إلى توقيع الهدنة التي تنص على أن تمتد عشرين سنة، وأن يحتل البرتغاليون مدينة العرائش إلى جانب أصيلا، وأن يطلق سراح السلطان محمد الشيخ وزوجاته، ينظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج6، مكتبة مدلولي، القاهرة، ص 23.

(2) السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق وتعليق: ولدي المؤلف صاحب السعادة، جعفر ناصر، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص 158.

(3) حسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م، ص 243.

ب- المغرب الأقصى في ظل بني السعدي (1549-1621):

أصبح المغرب الأقصى يعيش حالةً من الفوضى، فبنوا راشد في شفشاون وآل المنظري في تطوان لازالوا في حالة حرب مع البرتغاليين ضاربين بذلك تلك الهدنة المبرمة عرض الحائط، أمّا سكان المناطق المجاورة لأصيلا وطنجة فكانوا يتشاجرون مع البرتغال. لا بل أعلنوا خضوعهم وقبلوا أداء الأعشار للكتيبة تلبيةً لقرار الملك "**بواور الثاني**" الذي راح يتابع سياسته بالمغرب بشكلٍ مباشر وعلني بموجب قرارات مفاوضات "**طور بيسيان**" **(899هـ/1494م)**، مما اضطّر أميري شفشاون وتطوان إلى شن حملات ضد فحص أصيلا لمعاقبة سكانها لتعاملهم مع البرتغال، فتم على إثر ذلك قتل بعض الفرسان المسيحيين[1].

في ظل هذه الظروف ظهر الأشراف السعديين، إذ وبعد مبايعة السعديين "**للشريف بن محمد بن عبد الرحمن السعدي**" أميرًا عليهم جمع صفوفهم وسار بهم إلى حرب البرتغاليين في حصن فرنتي[2].

بالقرب من أكادير فكانت له انتصارات أولية رائعة هناك، عكس ما يذكره "**طيراس**" الذي يستهين بالنتائج التي أحرزها السلطان السعدي ويعدها قليلة الأهمية[3].

ولعل انتصار أكادير هو الذي أهاب بسكان حاحة والشياظمة إلى الاستنجاد بالقبائل ضد البرتغال الذين يحتلون عدة مواقع شاطئية هناك كأكوز وآسفي، وقبل أن يتصدى القائم لهذه المهمة رشح نجله "**أبا العباس أحمد الأعرج**" لولاية العهد وعقد له البيعة سنة **(918هـ/1513م)** بتيدسي ثم استجاب القائم لنداء حاحة والشياظمة وترك ابنه "**محمد المهدي**" بالسوس يقوم بأمرها، بينما رافقه ابنه "**أبو العباس**"[4].

---

(1) مؤلف مجهول: تاريخ الدولة السعدية، تصحيح: جورج كولان، المغرب، 1934م، ص 78.

(2) عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 35.

(3) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 243.

(4) صالح العقاد: المغرب الغربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، ط6، المكتبة الأنجلو مصرية، 1993م، ص 50.

وفي سنة **(923هـ/1517م)** توفي القائم بأفوغال بالقرب من شيشاوة تاركًا الأمر لولده "**أحمد الأعرج**" ولخيه "**محمد الشيخ**"، فدفن بضريح الإمام "**محمد بن سليمان الجزولي**" ثم نقل رفاته إلى مراكش سنة **(930هـ/1523م)** وظل المغرب الأوسط تحت حكم الوطاسين والسعديين إلى تمكن "**محمد الشيخ**" من القضاء على خصومه "**أبي حسون الوطاسي**" و"**أحمد الأعرج**"، و"**مولاي**"[1]، "**عمر أمير دبدو**" وغيرهم من المناوئين له، فاستقرت الأوضاع الداخلية نسبيًا ودان له المغرب بأكمله بعدما قضى نهائيًا على الدولة الوطاسية إذ لم يستطع أحد من الأمراء الوطاسين الذين استقروا في الجزائر عند حكامها الأتراك أن يهدده أو يحي هذه الدولة من جديد[2].

المطلب الثالث: علاقة الزيانيين وأتراك الجزائر بالوطاسين والسعديين

أ- العلاقة السياسية بين الزيانيين والوطاسين:

سار الوطاسيون على نهج أسلافهم وبني عمومتهم المرينين الذين سعوا جاهدين في ضم تلمسان إلى مملكتهم والقضاء على نفوذ الزيانيين فيها، غير أن الظروف لم تكن في صالح السلطان الوطاسي "**محمد البرتغالي**" **(910-932هـ/1500-1523م)**[3]. والتي لم تسمح لهما بتوجيه أنظارهما إلى تلمسان أو حتى لتدخل في شؤونها كما فعل أسلافهم من المرينين، حيث كان المغرب الأقصى يعيش حالة من الاضطرابات والانقسامات، إضافةً إلى الغزو البرتغالي والإسباني واحتلالهما للعديد من المدن الاستراتيجية[4]، لذلك كان هم الوطّاسين الكبير هو مواجهة هذه الأخطار، خاصةً المد السعدي المتصاعد من الجنوب،

---

(1) ملف مجهول: تاريخ الدولة السعدية، المصدر السابق، ص 93.

(2) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 246.

(3) مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، المصدر السابق، ص 32.

(4) هايدو ديغو: تاريخ ملوك الجزائر، تر: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، عين مليلة، ص 30.

كما كان لزامًا عليهم توجيه كل جهودهم واهتمامهم لمواجهة الخطر الأجنبي وتحرير المدن التي احتلها الغزاة الإسبان والبرتغاليين[1].

وفي ظل هذه الظروف صرف الوطّاسيون نظرهم نهائيًا عن التدخل في مملكة تلمسان، واكتفوا بإيواء الأمراء الزيانيين الفارّين إليهم خوفًا من بطش الأسرة الحاكمة، أو الطالبين للعون والمدد ضد العثمانيين الأتراك الراغبين في الاستيلاء على تلمسان، دون تقديم أدنى مساعدة لهم، تخوفًا من أي اضطراب قد يظهر من الجهة الشرقية أو خطر يأتي منها، بل سعوا إلى إقامة علاقات تتميز بحسن الجزار مع سلاطين تلمسان، أو الوافدون الجدد من العثمانيين الأتراك، ومن ذلك رفض السلطان الوطاسي "**محمد البرتغالي**" مساعدة السلطان الزياني "**أبو حمو الثالث**" الذي استجار به طالبًا مساعدته على استرجاع عرشه الذي استولى عليه "**عروج بربروس**"[2]. وكان سبب الرفض هو انشغال السلطات الوطاسي تجربة ضد البرتغاليين وعملائهم في المغرب[3]، ومحاولته اخضاع جميع الوحدات السياسية التي انفصلت عن دولته، وسبط نفوذه على كامل التراب المغربي، إضافةً إلى تخوفه من التورط في الجبهة الشرقية إن هو تدخل ضد العثمانيين الأتراك، والتي قد تنسف كل الجهود التي بذلها من أجل استرجاع سلطته على المغرب الأقصى[4].

يذكر في هذا الصدد "**هايدو**" أن السلطان الوطاسي رفض التدخل في تلمسان ضد "**عروج**" لأن هذا الأخير كان قد أرسل إليه عقب دخوله إلى تلمسان سفراء يعرض عليه من خلالهم التحالف ومساعدته على محاربة أعدائه بالمغرب[5]. أمام رفض "**محمد البرتغالي**" مد العون للسلطان "**أبي حمو الثالث**" لجأ هذا الأخير إلى الإسبان الذين لم يتأخروا في تلبيه طلبه، لأنهم وجدوت في ذلك الفرصة المناسبة للقضاء على "**عروج**" وقواته لأنه كان يشكل

---

(1) جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1987م، ص 41.

(2) مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، المصدر السابق، ص 32.

(3) هايدو ديغو: المصدر السابق، ص 32.

(4) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 251.

(5) هايدو ديغو: المصدر السابق، ص 38.

خطرًا يهدد وجودهم بوهران والمرسى الكبير، وكذلك لقطع الطريق أمام أي اتفاق أو تحالف قد يحصل بينه وبين السلطان الوطاسي "**محمد االبرتغالي**"، وتمكن السلطان "**أبو حمو الثالث**" من استرجاع ملكه بفضل المساعدات الإسبانية، كما تمكن الإسبان من القضاء على "**عروج بربروس**" خلال محاولته الفرار من الحصار الذي ضربوه على قواته بمدينة تسلمان[1].

رغم أن السلطان "**أبا حمو**" تمكن من استرجاع عرشه، إلاّ أن الأمور لم تستقر له بتلمسان، بحيث سرعات ما نشب خلاف بينه وبين "**أخويه عبد الله ومسعود**" بعدما كان "**عروج**" قد أطلق سراحهما من السجن، اللذان لجآ إلى السلطان الوطاسي "**محمد البرتغالي**"[2].

وبعد تولي "**أبي العباس أحمد الوطاسي**" عرش فاس سنة **(932هـ/1526م)** سار على نهج والده في علاقته مع الزيانيين، حيث استمر في استقبال اللاجئين إليه وايوائهم دون التدخل في شؤونهم أو مديد العون إليهم سواءً ضد بعضهم البعض، وخصومهم من الأتراك والإسبان.

ومن جملة من التجأ إليه الأمير "**بوزيان محمد بن عبد الله**" بعد فشله في انتزاع الملك من أبيه بعد أن ثار ضده سنة **(937هـ/1531م)**. فرفض السلطان "**أبو العباس حمد**" تقديم المدد له ومساعدته لتنفيذ مراده، مما اضطر "**محمد بن عبد الله**" إلى اللجوء إلى حكام الجزائر العثمانيين الأتراك الذين أعانوه على انتزاع الملك من والده والتربع على عرش تلمسان سنة **(941هـ/1534م)** كما أن السلطان "**أبو العباس**" لم يتدخل في النزاع القائم بين السلطان[3] "**بني زيان محمد الثاني**" "السالف الذكر"– وأخويه "**أبي عبد الله محمد وأبي زيان احمد**"، واكتفى مرةً أخرى بإيواء السلطان "**أبي زيان محمد الثاني**" بعد أن اطاح به أخوه

---

[1] مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، المصدر السابق، ص 33.

[2] عمار بن خروف: العلاقات بين الجزائر والمغرب 1517–1659، قسم التاريخ، جامعة دمشق، ص 78.

[3] محمد بن عمرو والطمار: تلمسان عبر العصور، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 2007م، ص، ص 228، 233.

الأمير "**أبو زيان أحمد**"، خاصةً وأن الخطر السعدي بقيادة "**محمد الشيخ**" أوشك أن يطرق أبواب العاصمة فاس[1].

يذكر "**محمد الكراسي**" رواية لم ترد عنه غيره مفادها أن السلطان "**أحمد الوطاسي**" قد أمدَ السلطان المخلوع "**أبو زيان محمد**" بالرجال والسلاح واسترجاع عرشه من أخيه وقال له "داري دارك وأنا لك بمنزلة الوالد وبني بمنزلة أخيك"، لكن يبدو أن ذلك مجرد وعود لم تجد طريقها خاصةً وأن الأحداث التاريخية لم تُثبت أي دعم مادي قدمه السلطان "**احمد الوطاسي**" للسلطان الزياني المخلوع "**أبو زيان محمد بن عبد الله**".

رغم أنّ الوطاسين لم يقدموا أي دعم للأمراء الزيانيين الملتجئين إليهم إلاّ أنّ المغرب الأقصى ظلّ الملجأ الآمن الذين يلجؤون إليه كلّما داهمهم الحظر[2].

إذًا ومن خلال تتبعنا للعلاقات الوطاسية الزيانية خلال النصف الأول من القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي، نجد أنها تميّزن بالتزام الوطاسين للحياد وعدم التدخل المباشر في شؤون مملكة تلمسان على الرغم من وجود مناوئين للحكم الزياني في بلاطها، والساعين إلى الحصول على دعمها ضد الحكم، أو ضد خصومهم من الأتراك أو الإسبان[3].

بذلك يمكن القول أن العلاقات بين الطرفين- الزيانيين والوطاسين- قد تميزت بحسن الجوار، وانعدام التعاون والتنسيق بينهما لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية التي كانت تتهدد كلاّ منهما[4]، وقد كان لذلك انعكاسات سلبية على الطرفين، حيث اضطر الزيانيون أمام رفض الوطاسين لمساعدتهم إلى الاستعانة بالإسبان أحيانًا وبالعثمانيين الأتراك أحيانًا

---

(1) محمد الكراسي: عروسة المسائل في تاريخ تطوان، مجلد 01، المغرب، تطوان، 1959م، ص 39.

(2) علي العبيدي: صفحات من تاريخ الجزائر (وسيط، حديث، معاصر)، دراسات تاريخية، ج2، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، تلمسان، 2020م، ص، ص 172، 175.

(3) مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، ص 132.

(4) عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 78.

أخرى لردِّ خطر أحد هذين الطرفين[1] فكانت النتيجة أن فقد كل من الزيانيين والوطاسين على حدٍ سواء ملكهم، فتلمسان أصحبت تابعةً لحكام الجزائر الجدد وهم العثمانيون الأتراك، والوطاسيين حل محلهم الأشراف السعديين في حكم المغرب الأقصى سنة **(659هـ/1549م)**، رغم تقربهم هم الآخرون أحيانًا من الإسبان، وأحيانًا من البرتغاليين، وأحيانًا أخرى من الأتراك العثمانيين، لتعرف الدولتان خصومًا جددًا وتدخلات في مواجهات جديدة[2].

ب- العلاقات السياسية بين الزيانيين والسعديين:

بالنظر في الظروف التي كانت تمر بها كل من الجزائر والمغرب خلال الفترة التي كانت امتداد نفوذ السعديين إلى شمال المغرب الأقصى واعتلائهم عرض هذا البلد في العقد الخامس من القرن العاشر الهجري/ السادس ميلادي، وما قابله من حالة الضعف والانحطاط التي آلت إليها الدولة الزيانية.

يتضح لنا أنها ظروف لا تسمح بوجود علاقات قوية أو فعالة بين البلدين وذلك لأنّ الزيانيين لم يسعوا أبدًا إلى التقرب من السعديين أوّل ظهورهم، أو إلى إقامة علاقات معهم، وذلك حتى لا يغضبوا جيرانهم الوطاسيين من جهة، ولانشغال السعديين في بداية أمرهم بتحرير سواحل المغرب المحتلة وإحكام سيطرتهم عليه. ومن ثم التطلع إلى اخضاع مملكة تلمسان[3]، ثم إن الزيانيين ورغم حاجتهم الماسة إلى الدعم والسند- الذي لم يجدوه عند الوطاسيين- ضد الإسبان أو ضد العثمانيين الأتراك، فإنهم لم يلجؤو إلى طلب ذلك من السعديين رغم قوتهم التي أظهروها واتساع نفوذهم الذي مكنهم من السيطرة على المغرب الأقصى وقضائهم على الوطاسين[4].

---

[1] حسن الوزان: المصدر السابق، ص 251.

[2] عمار بوحوش: تاريخ الجزائر السياسي من البداية ولغاية 1962، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 60.

[3] علي العبيدي: المرجع السابق، ص 172.

[4] مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 483.

وذلك خشية تزايد أطماعهم، وامتداد نفوذهم إلى مملكتهم مثلما كان الأمر مع المرينين، خاصةً وأن السعديين اجتمعت فيهم العديد من الصفات التي تجعلهم يحظون بالقبول في تلمسان أكثر من العثمانيين الأتراك أو الإسبان نفسهم من الأشراف الذين برزوا كمجاهدين في سبيل الله يسعون إلى تحرير أرضهم من المحتل المسيحي، ولعلّها صفات منحتهم السلطة والتوفق المعنونين، إضافةً إلى ميلهم تأييد لطرق الصوفية وعلى رأسها الطريقة الشاذلية[1]، التي تتفرع عليها طرق عديدة في المغرب والجزائر على حدٍ سواء، كما أن لها أتباع كثر في تلمسان[2] مما جعل الزيانيون يتوجسون منهم خيفةً. بل ويتخوفون منهم أكثر من تخوفهم من العثمانيين الأتراك أو حتى الإسبان، خاصةً وأشعبية سلاطين بني زيان ما فتئت تتناقص لدى الرعية بتلمسان[3] ومن هنا أدرك السلاطين الزيانيين أنه يستحيل اخراج السعديين من تلمسان إن أتيحت له الفرصة للاستيلاء عليها.

وبالرغم من الظروف المواتية للسعديين من أجل التدخل في تلمسان قبل العقد الخامس من القرن السادس عشر ميلادي، إلاّ أنهم لم يُقدموا على ذلك لأن هدفهم كان توحيد المغرب الأقصى تحت رايتهم.

ويمكن القول أن العلاقات السياسية بين الزيانيين والسعديين لم تعرف أي تطور، ومرد ذلك لانشغال السعديين في بداية أمرهم بتحرير المدن المحتلة، والقضاء على الحكم الوطاسي بالمغرب[4]، لذلك لم يقدموا شيء للزيانيين يمكنهم من الحد توسع نفوذ الأتراك والإسبان معًا، بل تحولوا هم أنفسهم أحد الطامعين في توسيع نفوذهم على حساب تلمسان والغرب الجزائري بعدما تمكنوا من القضاء على الوطاسيين وأصبحوا قوةً في المنطقة، لكنهم اصطدموا بقوة العثمانيين الأتراك في الجزائر ودخلوا معهم في صراعات عسكرية عديدة،

---

(1) أوغست كور: دولة بني وطاس 1420-1554، ترجمة: محمد فتحة، منشورات كلية الآداب والعلوم، الرباط، 2010م، ص 124.

(2) عثمان سعدي: الجزائر في التاريخ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 389.

(3) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: المرجع السابق، ص 221.

(4) عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 79.

خاصةً وأن العثمانيين كانوا يأملون في بلوغ المغرب الأقصى الذي ظل المنطقة الوحيدة من بلاد المغرب الإسلامي الذي لم يلحق بالخلافة العثمانية[1].

وبتعدد أطراف الصراع وتباين أهدافها ظلت تلمسان تتجاذب به التيارات، فتارةً الأتراك وتارةً السعديون وتارةً أخرى التحرشات الإسبانية المستمرة عليها، ويضاف إليهم الطرق الصوفية الداعمة للسعديين خاصةً الطريقتين الشاذلية والجزولية، وهذا ما أدى في الأخير إلى انهيار الدولة الزيانية وزوال رسمها سنة **(951هـ/1554م)**[2].

ج- علاقة السياسة بين إيالة الجزائر والوطاسين:

لم تكن العلاقات بين المغرب الأقصى والعثمانيين ولدية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، بل هي مرتبطة بالأساس بالانتصارات والانجازات التي حققها العثمانيون منذ أواسط القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي، والتي أهمها فتح القسطنطينية سنة **(587هـ/1453م)** من طرف السلطان "**محمد الفاتح**"، حيث أرسل بهذه المناسبة السلطان "**عبد الحق المريني**" رسالة تهنئة إلى السلطان "**محمد الفاتح**" تعبيرًا منه عن ابتهاجه بهذا النصر العظيم[3]، إضافةً إلى ما حققه السلطان "**محمد الثاني**" من فتوحات في شرق أوروبا، وبلوغ "**بايزيد الثاني**" البندقية شرقي المتوسط، وكذلك سيطرة "**سليم الأول**" على شرق المتوسط وضمه سوريا ومصر والحجاز، ثم تطلعه إلى ضم الشمال الإفريقي.

ورغم أن العثمانيين لم يكونوا غافلين عما حققه حكام المنطقة في مواجهة الغزو الإيبيري، غير أن استصراخ أهل الأندلس بالسلطان العثماني بعد سقوط غرناطة سنة **1492م**[4] شجع العثمانيين على ضم المنطقة، فكانت البداية سواحل الجزائر التي دخلها

---

(1) محمد بن عمرو الطمار: المرجع السابق، ص 235.

(2) اهتم السعديون منذ ظهورهم بإصلاح الأوضاع في الداخل وبالجهاد ضد المسيحيين، وبذلك لم يتطلعوا للجزائر إلى غاية 1547 لم تسجل أي محاولة من جانبهم في هذا الشأن، ونفس الشيء بالنسبة للعثمانيين الأتراك، وتميزت العلاقة بينهما في التنسيق في محاربة النصارى، ينظر: بن حادة عبد الرحيم: المغرب والباب العالي من منتصف ق 16 إلى نهاية ق16، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، 1998م، ص 64.

(3) ليلى الصباغ: تاريخ العرب الحديث والعاصر، دمشق، 1981م، ص، ص 73، 76.

(4) مذكرات خير الدين بربروس: المصدر السابق، ص 127.

أوائل الأتراك تحت قيادة "**الإخوة بربروس**" **(عروج وخير الدين وإسحاق)** فدخلوا مدينة جيجل سنة **1514م**، ثم مدينة الجزائر سنة **1517م**، ثم تمكنوا من دخول تلمسان للمرة الأولى سنة **(923هـ/1517م)**، بعدما تمكن "**عروج**" من عزل السلطات "**أبي حمو الثالث الزّياني**"[1].

أمّا فيما يخص المغرب الأقصى فيقول "**هايدو**" أن "**عروج**" أرسل رسالة إلى السلطان الوطّاسي "**محمد البرتغالي**" يعرض عليه التحالف ضد عدوهما المشرك من النصارى، مبديًا تقديم كل الدعم والمساندة ضد خصومه السعديين بمراكش، وضد كل المناوئين له بالمغرب الأقصى[2].

ويبدوا من خلال إقدام "**عروج**" على هذه الخطوة أنه أراد تأمين الحدود الغربية للجزائر، وقطع الطريق على أي دعم قد يقدمه السلطان الوطاسي للسلكان الزياني "**أبو حمو الثالث**" الذي لجأ إليه طالبًا الدعم، وذلك حتى يتفرغ لمواجهة الإسبان الذي باتوا يهددون وجوده بتلمسان[3].

وجد السلطان الوطاسي "**محمد البرتغالي**" في هذا العرض فرصته لتقوية جانبه خاصةً وأنّه كان يبحث عن التحالف مع طرفٍ قوي يعينه على طرد الإسبان والبرتغاليين من سواحل بلاده. وعلى وضع حدٍ للنفوذ السعدي الذي بدأ يتوسع حتى أوشك على الوصول إلى مدينة فاس عاصمة الوطاسين[4].

ويمكن القول أن العلاقات السياسية بين حكام الجزائر العثمانيين والوطاسين كانت علاقات ود وتعاون، لكنها لم ترتق إلى مستوى التعاون الفعلي والجاد والدفاع المشترك لرد هجمات الأعداء في حدود البلدين، الأمر الذي سهل على السعديين الاستلاء على المغرب الأقصى، والقضاء على الدولة الوطاسيّة، وسهل على آل زيان استرجاع سيطرتهم على

---

(1) مذكرات خير الدين بربروس: المصدر السابق، ص 129.

(2) هايدو ديغو: المصدر السابق، ص 30.

(3) عمار بن خروف: المرجع السابق، ص 82.

(4) عبد الله مقلاتي: المرجع السابق، ص 58.

تلمسان، وسهل على الإسبان كذلك إحكام سيطرتهم على العديد من المناطق الساحلية بالجزائر [1].

د- العلاقات السياسية بين الأتراك العثمانيين حكام الجزائر والسعديين:

بظهور قوة جديدة في المنطقة والمتمثلة في الدولة السعدية التي أصبح لها نفوذ واسع ليس على المغرب الأقصى فحسب؛ بل حتى في الجزائر، وذلك بفضل الدعم الذي كانوا يحظون به من طرف الطرق الصوفية خاصةً الطريقتين الشاذلية والجزولية واللتين كان لهما أتباع كثر في المغرب والجزائر، أمام هذا الوضع بات لزامًا على حكام الجزائر الأتراك تبني سياسة اللّين والمهادنة تجاههم، ومحاولة إقامة علاقات حسنة معهم للحفاظ على السلم في المنطقة، وتجنب الدخول في مواجهات مع الحكام السعدّيين، خاصةً وأنها على مشارف مواجهات جديدة[2]. ولتحقيق هذه الغاية لجأت هذه الإدارة إلى رجال الدّين من متصوفة وعلماء وشيوخ زوايا لما لهذه الفئة من تأثير ونفوذ في المجتمع المغاربي في عمومه، ولأنها وضعت نفسها في خدمة الأتراك العثمانيين[3].

ومن اختيار "**صالح رايس**" الشيخ "**أبي عبد الله محمد علي الخروبي**" للقيام بمهمة السفارة عنه لدى "**محمد الشيخ السعدي**"، وقد تم اختيار "**الخروبي**" لعلاقاته الطيبة مع علماء المغرب وخاصةً علماء فاس، وكذلك لمعرفته العديدة بأموال المغرب، حيث كان قد وفد إلى مدينة فاس منذ أيام السلطان الوطاسي[4].

وصل "**الخروبي**" إلى مراكش سنة **(559هـ/1552م)** حاملاً معه رسالتين من السلطان العثماني إلى "**محمد الشيخ**" الذي خصه باستقبال مميز يليق بمقامه، وتشير الرسالة الأولى إلى موقف السلطان العثماني من الاصطدام السعدي العثماني حول مدينة تلمسان، وظروف وأسباب عزل "**حسن باش بن خير الدين**"، كما أكّد فيها حرص الدولة العثمانية ورغبتها في

---

(1) هايدو ديغو: المصدر السابق، ص 32.

(2) عزيز سامح آلتر: المرجع السابق، ص 88.

(3) ليلى الصباغ: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 98.

(4) أوغست كور: المصدر السابق، ص 129.

توحيد كلمة المسلمين ذد الكفار، ومما جاء فيها: "... هو اطفاء ثائرة الكفرة اللئام، وذلك المرام يكون باتفاق أمراء الإسلام واتحاد أمناء شرع سيد الأنام"[1].

ويبدوا أن سفارة "**محمد بن علي الخروبي**" قد فشلت في تحقيق أهدافها بدليل تجدد المواجهات بين الطرفين، والتي كانت فيها المبادرة لحكام الجزائر، وإذا كانت ذلك بالنسبة للعثمانيين الأتراك فيمكن اعتبارها انتصارًا سياسيًا "**لمحمد الشيخ**" الذي وإن خسر ميدانيًا فإنه كسب اعتراف الأتراك بوجود دولته كأمرٍ واقع.

أثار رفض "**محمد الشيخ**" للمقترح العثماني بتحديد الحدود حفيظة "**صالح رايس**" حاكم الجزائر، وأخذ يتحين الفرصة للانتقام منه، وبعد مرور أقل من ثلاثة أشهر على هذه الحادثة قام مجموعة من قطاع الطرق المغاربة باقتحام إقليم تلمسان[2].

توجدها "**صالح رايس**" الفرصة المناسبة لمهاجمة السعديين، وحرك حملة في أواخر **سبتمبر 1553** تتكون من ستة آلاف بندقي، وألف صبايحي وأربعة آلاف فارس من أهالي الجزائر، ومن زواوة خصوصًا واتجه غربًا حتى دخل تلمسان، أين قام بعزل السلطان "**الحسن الزياني**" ونفيه إلى مدينة الجزائر، وألحق تلمسان بالحكم التركي بصفةٍ نهائية واضعًا بذلك حدًا للحكم الزياني على المغرب الأوسط الذي دام أكثر من ثلاثة قرون[3].

ولما علم "**محمد الشيخ**" الذي كان بمراكش لمحاربة ابن أخيه "**زيدان بن أحمد الأعرج**" بحملة "**صالح رايس**" على فارس خرج إليها مسرعًا، ونظّم بها جيشه، ثم خرج لمواجهة الأتراك على رأس قوةٍ تتشكل من ثلاثين ألف فارس وعشرة آلاف رجل[4] تحسن بهم بمدينة تازة استعدادًا للمعركة، التي انهزم فيها، وانسحب إلى مراكش فاسحًا المجال أمام الأتراك

---

(1) علي العبيدي: المرجع السابق، ص 477.

(2) مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 483.

(3) صالح عباد: المرجع السابق، ص 76.

(4) توفيق أحمد المدني: المرجع السابق، ص 329.

المدعومين "**بأبي حسون**"[1]، و"**عمر بن يحي**"، فدخلوا فاس البالي في **04 يناير 1554**، ثم فاس الجديد يوم **06 جانفي**[2].

كان الأتراك قبل التوجه إلى فاس تفاوضوا مع "**أبي حسون الوطاسي**" حول شروط التبعيّة والتعويضات التي يؤديها لهم، ودخلوا فاس دون الوصول إلى اتفاق، فرفض "**أبو حسون**" حينها الرضوخ لإملاءات الأتراك الذين قاموا بسجنه وتعيين أحد الأشراف الإدارية حاكمًا على فاس لعلمهم أن أهلها لن يقبلوا حكامًا عليهم[3].

وبذلك يكون الأتراك قد انتهجوا في فاس نفس الطريقة التي انتهجوها في تلمسان، بأن عينوا حكامًا موالين لهم من بني زيان، يحكمون باسمهم حتى تمكنوا من القضاء على الدولة الزيانية، لكن الأمور في فاس لم تسر كما سارت في تلمسان، وذلك بأن ثار أتباع "**أبي حسون**" وأجبروا "**صالح رايس**" على إطلاق سراحه[4].

وبمجرد تحرره من قبضة الأتراك سارع "**أبو حسون**" إلى التخلص منهم بعدما سلمهم الأموال التي وعدهم بها، وأضاف إليها مقدارًا آخر جمعه من تجار فاس، إضافةً إلى بعض الهدايا، وبذلك فشلت أول محاولة تركية على فاس[5].

أما "**أبو حسون**" فحصّن مدينة فاس وأعاد تنظيم جيشه، وجمع من حوله القبائل استعدادًا لهجوم مرتقب من "**الشريف السعدي**"، كما تحالف مع "**محمد الأعرج**" مقابل اقتسام ممتلكات "**محمد الشيخ**" بعد القضاء عليه، وفي **سبتمبر 1554** حدث ما توقعه "**أبو حسون**"، إذ وبعد أن ألقى القبض على أخيه "**أحمد الأعرج**" وأبنائه ونقلهم إلى مراكش جمعته معركة ضد "**الشريف السعدي**" بالقرب من منطقة "**تادلا**" انتصر فيها هذا الأخير وتمكن من القضاء على "**أبي حسون**" الذي فرَّ اثنان من أبنائه برفقة "**الشريف الإدريسي**"

---

(1) صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، ط1، دار هومة، الجزائر، 2012م، ص 78.

(2) ابن عسكر: دوحة الناشر، المصدر السابق، ص 126.

(3) مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 483.

(4) مؤلف مجهول: تاريخ الدولة السعدية، المرجع السابق، ص 88.

(5) علي العبيدي: المرجع السابق، ص 178.

إلى مدينة الجزائر[1]. وبمقتل "**أبي حسون**" انتهى رسم الدولة الوطاسيّة وأصبحت فاس تابعةً نهائيًا للدولة السعدية منذ هذه السنة **1554**[2] والتي انتقم "**محمد الشيخ**" من أهلها شرّ انتقام، وجرد القبائل العربية التي تحالفت ضده مع بني وطاس والأتراك من خيلها، وفرض عليها الخراج، وجعلها من القبائل الغارمة بعدما غرب رؤسائها وأعيانها إلى مراكش[3].

كما صب جام غضبه على أتباع الطريقة القادرية بفاس لمساندتهم لأعدائه، ولم ينجوا من سخطه حتى علمائها وفقهائها، والذين تخلص من الكثير منهم.

وفي نفس الفترة والظروف كانت نهاية الدولة الزيانية التي قام الأتراك بعزل آخر سلاطينها، السلطات "**الحسن الزياني**: وانتهى به المطاف لاجئًا لدى الإسبان في وهران سنة **1554م**. أين توفي بمرض الطاعون بعد ثلاث سنوات[4].

بعد أن وطد "**الشريف السعدي**" ملكه بالمغرب الأقصى أصبح يفكر في الوسائل التي يحافظ به على هذا الملك، فهو لن يرتاح له بال والأتراك يجاورونه بحدم بادس، وبتلمسان التي غرزوا فيها تواجدهم، والذي أثار مخاوفه أكثر هو إيواء الأتراك لبقايا الوطاسين الفارين من موقعة تادلا "**كأحمد بن أبي حسون**" وأبناء "**مولاي زيان**"[5] إضافةً إلى تقريبهم للبعض الآخر "**كأبي بكر بن أحمد الوطاسي**" الذي اتخذه "**صالح رايس**" صهرًا له، وصار لا يرد له طلبًا[6].

في ظل هذه الظروف لم يجد "**محمد الشيخ**" أمامه إلا التقرب من الإيبيريين لمواجهة الأتراك العدو المشترك بينهم، فأرسل إلى مدريد ولشبونة يطلب المساعدة العسكرية لهذا الغرض رافق الإسبان والبرتغاليين على تلبية طلبه بشرط منع تردد الأتراك على جميعه،

---

(1) مؤلف مجهول: تاريخ الدولة السعدية، المصدر السابق، ص 92.

(2) ابن عسكر: دوحة الناشر، المصدر السابق، ص، ص55، 56.

(3) توفيق أحمد المدني: المرجع السابق، ص، ص 43، 44.

(4) هايدو ديغو: المصدر السابق، ص 34.

(5) صالح عباد: المرجع السابق، ص 83.

(6) نفسه: ص 64.

وتحمل نفقات الحملات العسكرية من بدايتها إلى نهايتها، وأن تكون مدينة الجزائر من نصيب الإسبان إن تم الاستيلاء عليها[1].

وكرد فعل على التقارب السعدي الإيبري قام الأتراك حكام الجزائر بمحاصرة مدينة وهران على اعتبار أن حاكمها كان أداة اتصال ببن فاس ومدريد، لكن الحصار فشل بسبب وصول نجدات سريعة من إسبانيا، الأمر الذي دفع بالأتراك إلى إرسال وفد إلى فاس اقترح على "**الشريف السعدي**" الذي استقبله بفاس الهدنة والسلم، ومساعدة السلطان العثماني في محاربة المسيحيين، والاعتراف بالسيادة العثمانية، وضرب السكة باسم السلطان العثماني[2].

أغضبت هذه الشروط "**محمد الشيخ**" وردّ عليه بعد طول انتظار بأن يبلغ سلامه إلى سلطانه أمير القوارب، وجاء في الترجمان المعرب أن "**محمد الشيخ**" قال لرسول السلطان العثماني: "قال لسلطان الحواتة- أي صيادي السمك- إن سلطان المغرب لا بدّ أن ينازلك على محمل مصر ويكون قتاله معك عليه إن شاء الله ويأتيك إلى مصر والسلام"[3].

بعد أن بدّد هذا الرّد من "**محمد الشيخ**" آمال الأتراك في إقامة تحالف معه، جهز "**صالح رايس**" حملةً عسكرية للهجوم على وهران قبل أن يصلها غريمه السعدي وحلفاؤه، وكان السلطان العثماني قد أمده بأربعين سفينة وستمائة جندي انكشاري، غير أنّ الطاعون لم يمهله القيام بهذه الحملة بعد قضي عليه بالقرب من وهران سنة **(963هـ/1556م)**[4]، ليواصل خلفيته "**حسن قورصو**" هذه الحملة التي توقفت- وهي على وشك إسقاط المدينة- بطلبٍ من السلطان العثماني الذي طلب من الأسطول التوجه فورًا إلى مضيق البوسفور لمواجهة التهديدات المسيحية هناك.

---

(1) مؤلف مجهول: تاريخ الدولة السعدية، المصدر السابق، ص، ص 26، 28.

(2) نفسه: ص 30.

(3) مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، المصدر السابق، ص 28.

(4) هوارية بكاي: العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى من دخول العثمانيين إلى سقوط الدولة الزيانية، النشر الجامعي الجديد، 2020م، ص 178.

أغضب هذا القرار المفاجئ الانكشارية وأثار سخطهم لأنه حرمهم من غنائم كثيرة كانوا قريبين من الوصول إليها، ودخلت الجزائر في حالة من الاضطراب والفوضى كثرت خلالها الاغتيالات خاصةً بعد مقتل "**حسن قورصو**".

في ظل هذه الأوضاع غير المستقرة عين السلطان العثماني في **جوان 1557م** "**حسن باشا بن خير الدين**" من جديد حاكمًا على الجزائر، وطلب منه إعادة الاستقرار والهدوء إلى البلاد[1].

تزامن وصول "**حسن باشا**" إلى الجزائر مع حملة عسكرية أرسلها "**شريف السعدي**" على تلمسان، والذي استغل فشل حملة الأتراك على وهران، والاضطرابات التي كانت تعيشها الجزائر لشن هذه الحملة، والتي شارك القائد "**المنصور بن أبي غانم**" وقبيلة "**بني راشد**"، لكن هذه الحملة باءت بالفشل بسبب صمود "**صفا بك**" وجنوده الخمسمائة المتحصنين بقلعة المشور، ووصول القوات الضخمة التي قادها "**حسن باشا**" لنجدة المدينة قبل سنة **1554**[2].

بعد هذه الحملة السعدية على تلمسان تأكد الأتراك أنّه لا مناص للتخلص من تهديدات "**محمد الشيخ**" إلاّ بمقتله، وهو الأمر الذي تم فعلاً بعد أن دسّ "**حسن باشا**" أحد رجاله ويدعى "**صالح الكاهية**" ومائتان من جنوده بالبلاط السعدي، الذين استغلوا فرصة خروج "**محمد الشيخ**" لإخماد ثورة بجبال الأطلس وقاموا بتصفيته هناك في يوم **29 ذي الحجة 964هـ/ 23 أكتوبر 1557م**، وحُمل رأسه إلى تلمسان، ومنها إلى مدينة الجزائر، ومنها إلى اسطنبول[3].

---

[1] صالح عباد: المرجع السابق، ص 97.

[2] محمد الصغير الإفراني: نزهة الهادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، ط1، المغرب، 1998م، ص 83.

[3] مؤلف مجهول: تاريخ الدولة السعدية، المصدر السابق، ص 26.

وبمقتل "**محمد الشيخ**" ستدخل العلاقات بين الجزائر والمغرب مرحلةً أخرى، فقد تخل خلفاؤه عن المواجهة المباشرة مع الحاكم الجزائريين العثمانيين، وسيعتمدون في هذه المرحلة على التحالفات والمناورات كأسلوب جديد في التعامل معهم.

خلاصة:

ومن كل ما تقدم يمكن القول أن العلاقات السياسية بين البلدين في الفترة **(1513-1554)** كانت مذبذبة، ولم تكن علاقات ود وحسن جوار دائمًا أو تعاون، كما كان أن تكون بين بلدين متجاورين لهما نفس البيئة البشرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بين حكمين قاما على أسس متماثلة، ومنها الجهاد ضد الكفار وتحرير ما وقع تحت الاحتلال الأوروبي المسيحي البرتغالي والإسباني، بل كانت متذبذبة بين سلام قلق مجمّد لتوازن القوتين، وحرب عنيفة حين اختلال ذلك التوازن.

المبحث الثاني

العلاقات الاقتصادية

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

المبحث الثاني

العلاقات الاقتصادية

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في العلاقات "داخلية، خارجية"

المطلب الثاني: مظاهر العلاقات الاقتصادية "زراعية، صناعية، تجارية"

المطلب الثالث: مراكز التبادل التجاري

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في العلاقات "داخلية، خارجية"

لعبت عدة عوامل دور أساسي في العلاقات الاقتصادية بين القطرين خلال بداية الفترة الحديثة، ومنها العوامل الداخلية التي أثرت بشكلٍ مباشر، ناهيك عن العوامل الخارجية التي أثّرت بدورها في العلاقات بين البلدين وهي:

أ- العوامل الداخلية (الموروثة):

1- العوامل الجغرافية: فمن المعروف أن الجزائر والمغرب بلدان متجاوران لا تفصل بينهما حدود طبيعية، ومن المعروف أنهما يقيمان في شمال إفريقيا، ويطلان من الشمال على البحر المتوسط، وتغوص أقدامهما في الجنوب في رمال الصحراء الإفريقية الكبرى، إلاّ أن للمغرب واجهة أخرى من الغرب يطل به على المحيط الأطلسي[1].

والمؤكد أنّ التضاريس في البلدين تكمل تعضهما: فهي في الجزائر امتداد لما عليه في المغرب، مع فروق طفيفة، ففي كلٍ منهما سهول ساحلية على البحر المتوسط، وتمتد فيهما جبال الأطلس المرتفعة[2].

وعلى الساحل وفي الداخل بتفرعاتها التليّة والصحراوية، بينهما منطقة هضاب عالية، أمّا المناخ فهو متوسطي في الشمال والوسط وصحراوي في الجنوب.

وقد شكلا البلدات منطقة عبور بين أواسط إفريقيا الغربية، وكانت لهما علاقاتهما وبصفةٍ خاصة التجارية والسياسية مع بلاد السودان[3].

كما أن الموقع البحري الشمالي وما وراءه فكانت لهما صلاتهما السياسية والاقتصادية والثقافية مع بلاد أوروبا، ومع كل حوضه الشرقي[4].

(1) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 392.

(2) مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، إدارة دار الشؤون الثقافية العامة، ص 281.

(3) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 289.

(4) نفسه: ص 295.

ومثلما وجه الموقع الجغرافي سكان البلدين نحو الجنوب والشمال، كذلك وجهها نحو الشرق أيضًا.

ولم يكن الموقع وحده هو الذي ترك أثره في الحياة الاقتصادية، بل أن العوامل الطبيعية المتشابهة كان لهما نتائجهما البينة، فالتقارب في التضاريس والمناخ والمياه والتربة خلف عبر العصور، فقد أنتج كلا البلدين كلاً من القمح والشعير والبقول من المواد الغذائية، والقطن والكتان، والحلفاء، إضافةً إلى الزيتون والنخيل والتين والجوز واللوز والحمضيات والعنب والرّمان[(1)].

ب- العوامل الخارجية:

وصول البرتغاليين فيما يسمى بحركة كشوفهم الجغرافية إلى خليج أنطا منذ عام **1440م**، وانتشائهم مراكز تجارية على طول ساحل الأطلسي، كمركز "**بورتودال 1447**"، مركز "**لامينا 1482**". واتجاههم شمالاً إلى بلاد المغرب الجزائر والمغرب عبر الصحراء إلى البحر المتوسط، فبفضلهم ازدهرت مدن شمال الصحراء، والمدن الواقعة على طرف القوافل، مثل: سجلماسة، فاس، مراكش بالمغرب، تلمسان، قسنطينة، تقرت، وهران بالجزائر، وتمتد أيضًا إلى تونس وطرابلس الغرب وبرقة.

أمّا إسبانيا سعت بدورها لتكون لها مراكز تجارية على المحيط ما فلت من قبضة البرتغاليين، وأهم المراكز: "**سانتا كروز**" و"**دومَا رِبكينا 1483**"، ثم حولت نشاطها إلى المتوسط[(2)].

غير أن تأثير الغزو البرتغاليين والإسبان للشواطئ الجزائرية والمغربية والمناطق الداخلية المجاورة لها، كما تطرقنا له سالفًا في الأوضاع السياسية في البلدين[(3)].

---

(1) مامرول كربخال: المرجع السابق، ص 309.

(2) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 303.

(3) عبد القادر فكاير: المرجع السابق، ص 35.

فهذا الغزو لهم يصب في الصميم لتجارة السودان بين البلدين ودانتا التجارة عامةً بينهما، فاحتل الإسبان والبرتغاليون عدة مدن مغربية **(سبتة- طنجة- مليليا- أفلي- أزمو)** فقدت هذه المدن احتياجاتها التجارية السابقة.

كما احتل الإسبان الجزائر المرسى الكبير بوهران **1505** ووهران **1509** وجيجل وبجاية[1].

وكما ترك الغزو الإسباني والبرتغالي أثرًا مدمرًا على التجارة في المغرب والجزائر، فإنّه خلف آثارًا سيئة في الزراعة والصناعة، فمعظم المدن التي احتلوها كانت مراكز صناعية هامة **(وهران- بجاية- عنابة)**.

كما أدت الغارات المستمرة على المناطق الزراعية، ونهب محصولها وأسر العاملين فيها إلى خوف السكان وإهمالهم لأرضهم وهجرهم لها[2].

ومن العوامل الخارجية هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب، فقد بدأت بأعداد محدودة قبل سقوط غرناطة **1492**، إلا أن أعدادهم تزايدت بعد سقوطها، وخاصةً بعد سياسة التنصير القصري في مطلع القرن **16**م[3].

فقد حمل معهم الأندلسيون نشاطاتهم الحضارية، ومعرفتهم الزراعية المشهورة وخبرتهم الصناعية، وحيويتهم في النشاط التجاري، فقد قاموا في الجزائر باستصلاح أراضي شاسعة في كل من متيجة وشرشال، ووهران وتلمسان وعنابة، كما أسهموا في إدخال مزروعات جديدة (التوت- البرتقال- القطن- الأرز والعنب)[4].

---

(1) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 303.

(2) عمار بن خروف: العلاقات بين الجزائر والمغرب، المرجع السابق، ص 282.

(3) صالح عباد: المرجع السابق، ص 97.

(4) ناصر الدين سعيدوني: الجالية الأندلسية بالجزائر، مساهماتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي، مجلة أوراق، المعهد الإسباني الغربي للثقافة، 1984م، ص 103.

وفـي المغـرب قـاموا بغـرس الأراضــي فـي فحـص مدينـة مـراكش بمختلـف الأشـجار (الزيتون)[1].

كما عُرفوا بالنشاط والمهارة في مختلف الحرف والصناعات، كالحدادة والتجارة، صناعة الأحذية والخزف والأسلحة، والنسيج والزخرفة، ومن المدن المغربية تيطوان، فاس، مراكش.

وتجاز نشاطاتهم حيث كانوا يحتكون باليهود، فاحتكروا هم واليهود التجارة الخارجية طيلة عهد البايلر بايات في الجزائر [2].

المطلب الثاني: مظاهر العلاقات الاقتصادية "زراعية، صناعية، تجارية"

امتازت العلاقات الاقتصادية بالجمود نوعًا ما نتيجة الأوضاع المضطربة، ولكن ما توافر لدينا من معلومات فإنّنا نتطرق إلى الجانب الزراعي والصناعي والتجاري.

أ- الزراعـي: بفضل تداخل الحدود بين البلدين وانتقال السكان الحر بينهما والعلاقات الاجتماعية والتاريخية التي كانت قائمةً بينهما. كانت صلات في الميدان الزراعي من تبادل في المنتجات الزراعية ووسائلها، بالإضافة إلى انتقال العمّال الزراعيين بين البلدين ولا سيما أثناء موسم البذر والحصاد، كما قامت ملكيات زراعية لمغاربة في الجزائر ومثلها للجزائريين في المغرب[3].

ويقدم "**الوزّان**" و"**مارمول**" من جهة بعض الاشارات إلى انتقال عمال زراعيين وغير زراعيين إلى المغرب من مناطق الجنوب الغربي للجزائر، للعمل هناك وكانوا يعودون بروؤس أموال يستثمرونها في التجارة كأن يشتروا الخيول ثم يبيعونها للمتوجهين لبلاد السودان[4].

إضـافةً إلـى أنـه كانـت صـلات مـن البلـدين فيمـا يتعلـق بتربيـة المواشـي والحيوانـات المختلفة وتربية النحل ودودة القز وغير ذلك، ولا سيما في المناطق المجاورة كبادية تلمسان

(1) عمار بن خروف: العلاقات بين الجزائر والمغرب، المرجع السابق، ص 288.

(2) ناصر الدين سعيدوني: المرجع السابق، ص 105.

(3) مارمول كربخال: المصدر السابق، ص، ص 30، 36.

(4) ابن عسكر: دوحة الناشر، المصدر السابق، ص 385.

مع شرق المغرب، بحيث نتج عن ذلك التجانس الكبير في أنواع الحيوانات السائدة في كلا البلدين.

ب- الصناعة: كانت الصناعة القائمة في البلدين صناعة المنتوجات الصوفية والكتانية والحريرية والصناعات الجلدية والمعدنية وغيرها المتشابهة إلى حدٍ كبير، والمتطابقة في الأنماط، ممّا يعني أنّ الاحتكاك بين البلدين في هذا المجال كان كبيرًا، وأن خبرة الصّناع والحرفين كانت تنتقل من بلدٍ إلى آخر مع الصّناع والحرفيين المغاربة الذين كانوا ينتقلون للعمل في الجزائر، حاملين معهم أساليب صناعتهم، ومع الجزائريين الذين كانوا ينتقلون إلى المغرب للعمل هناك[1].

ومن الطبيعي أن يجري تقليد متبادل في نوع الصناعات وطرائق الصنع السائدة في البلدين، ولا سيما المؤثرات التي دخلت إليهما مع الوافدين الجدد من أتراك وغيرهم، مثلاً كصناعة الزرابي على الطريقة التركية بالمغرب الأقصى[2].

ج- التجارة: كانت العلاقات التجارية أكثر نشاطًا وحيويةً بين البلدين، رغم انتقادها للإحصاءات الضرورية بالتطرق إلى طرق المواصلات بين البلدين، تبين لنا وجود ثلاث طرق رئيسية، اثنان برية وثالثة بحرية، وهذه الأخيرة تنطلق من موانئ المغرب الشمالية ولا سيما موانئ تطوان، وتبادل تجاريًا مع موانئ جزائرية مثل: آرزيو، مستغانم، بجاية، القل وصولاً لعنابة، ومن ثم بنزرت بتونس[3].

أمّا الطريقان البرّيان: فأحدهما شمالي يربط بين أهم المدن الداخلية وبعض المدن الساحلية، ومن أهم محطّاته من الغرب إلى الشرق: من فاس إلى تازة، فوجدة المغربية، فتلمسان الجزائرية فمعسكر ومازونة، ومدينة الجزائر، ومنها إلى بجاية فقسنطينة فعنابة ومنهما إلى القطر التونسي، وهو الطريق الذي سلكه "**الوزّان**" في رحلته[4].

---

(1) مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 243.

(2) نفسه: ص 128.

(3) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 326.

(4) الورتلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1908م، ص 63.

والآخر جنوبي: وينطلق من تافيلانت (سجلماسة) بالجنوب الشرقي للمغرب، فبوسمغون بالجنوب الجزائري، فالغاسول، فعين ماضي، فالاغواط، فسيدي خالد ببسكرة، فسيدي عقبة، فتوزر بالجنوب التونسي، وهذا الطريق هو الطريق الذي تسلكه عادةً قافلة الحج المغربية[1].

أما المبادلات التجارية بين البلدين سواءً بحرية أن برية، فقد كانت الجزائر تصدر إلى المغرب عن طريق البحر غالبًا السيوف والخناجر والأقمشة الهندية والقطنية والمواد الدباغية والحرير التونسي، وكانت الجزائر تصدر عن طريق البر نحو المغرب المنتوجات الصوفية المنوعة كالبرانس والحياك ودواب الركوب والماشية ولوازم السفر كالبرادع والحبال، الملابس والدروع والتمر [2].

أمّا المغرب فكان يصدر عن الطريقين البحري والبري إلى الجزائر المواد التالية: العسل والصابون، والذهب والأحجار الكريمة والسكر والجلود المصبوغة والبليغات المصنوعة من الجلد، والحياك الصوفية والسلاح (السيوف والبنادق)[3] والحديد والأنسجة القطنية والخردوات والأمشاط والشواشي والبخور والنيلة وغريها[4].

كما كان العبيد أو بالأحرى المستعبدون من الأسرى النصارى يشكلون مادةً تجارية مريحة في كلا البلدين، ومادة للتبادل التجاري بينهما[5].

المطلب الثالث: مراكز التبادل التجاري

إذا تمعنا في مراكز التبادل التجاري بين القطرين خلال الفترة المدروسة وجدنا محطات عديدة ورئيسية لقوافل التجارة على الطريقين البرّي والبحري.

---

(1) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 326.

(2) هايدو ديغو: المرجع السابق، ص 45.

(3) ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 321.

(4) هايدو ديغو: المرجع السابق، ص 47.

(5) Richar (P): Les arts et industries indigenes du nord de l'afrique (ART RUNAUX) FEZ 1918, P 66.

أ- مراكز التبادل التجاري في الجزائر: نجد ثلاث مدن رئيسية: مدينة الجزائر، تلمسان، وقسنطينة.

* **مدينة الجزائر:** اتخذها الأتراك العثمانيون قاعدةً لحكمهم فتوسعت بسرعة وازداد عدد سكانها، فكان التجار فيها يمثلون طبقة كبيرة، وكان لمدينة الجزائر تجارة استراد وتصدير مع دول المتوسط من المغرب إلى اسطنبول (إسبانيا، فرنسا، المدن الإيطالية، والإيالة التونسية، والقسطنطينية)، كما كانت لهم تجارة مع إنجلترا[1].

كما كانت لمدينة الجزائر مبادلات تجارية مع كثير من المدن المغربية لا سيما الساحلية منها، الواقعة في شمال المغرب مثل: بادس، تيطوان، العرائش، وسلا، وتارغا، وأصيلا[2].

فمنذ الثلاثينات من القرن **16م** توطدت العلاقات الاقتصادية بين مدينة الجزائر وتيطوان، إذ تذكر المصادر أن "**خير الدين بربروس**" توجه عام **1531** إلى تطوان لشراء الحبوب منها، حيث كانت الجزائر تعاني القحط وقلة الزرع[3].

* **مدينة تلمسان:** كانت قاعدة ملك بني زيان، مركزًا تجاريًا رئيسيًا في الغرب الجزائري للمبادلات الخارجية بالجزائر والمغرب، وقبل أن تفقد تلمسان مركزها كقاعدة للدولة لصالح مدينة الجزائر، كان لها علاقات تجارية مع كثير من المراكز التجارية المغاربية مثل: تازة، فاس، سجلماسة، فجيج[4]، فتصدر إليها وتستورد منها، فإلى تازة كان تجار تلمسان يتوجهون ببضاعتهم المختلفة، وفي هذا الصدد يقول "**مارمول**": "إنّ لتجار تلمسان وفاس وغيرهم تجارة قويّة، وإن مدينة تلمسان كانت تمون المناطق المجاورة..." فقد كانت تلمسان تستورد المنتوجات الصوفية ذات الجودة العالية من فجيج.

---

(1) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 286.

(2) هايدو ديغو: المرجع السابق، ص 62.

(3) نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر، ص 141.

(4) هايدو ديغو: المرجع السابق، ص 300.

وبدأت تلمسان[1] في التقهقر ضد النصف الأول من القرن16م وذلك لاستيلاء الإسبان على منافذها وللاضطرابات الداخلية التي عرفتها المدينة، ما أثّر سلبًا على المبادلات التجارية خاصةً مع المغرب[2].

* **مدينة قسنطينة:** كانت مركزًا تجاريًا هامًا في الشرق الجزائري، فقد كانت مبادلاتها مع القطر التونسي أكثر مبادلة مع المدن المغربية، فمبادلاتها التجارية مع المغرب كانت تتم عبر قافلة مدينة **"سلا"**[3].

ب- مراكز التبادل التجاري في المغرب:

أهم المدن المغربية: تطوان- فاس- سلا.

* **مدينة تطوان:** مدينة مغربية هامة، الوحيدة التي لم يستطع البرتغاليون والإسبان احتلالها، فقد كانت المنفذ البحري الوحيد إلى المتوسط، بعد أن احتل البرتغاليون والإسبان معظم المدن المغربية، وكان في تطوان الأتراك الجزائريون يجدون استقبالاً لائقًا ويتزودون بما يلزمهم، وينطلقون في هجومات مشتركة على السفن والشواطئ الإسبانية والبرتغالية وغيرها، وفي تطوان أيضًا كان الأتراك الجزائريون يبيعون أحيانًا غنائمهم[4].

ولضرب التعاون الذي كان قائمًا بين أهالي تطوان والجزائريين في مختلف المجالات، ذلك التعاون الذي عاد بأضرارٍ كبيرة على الإسبان والبرتغاليين، واحكام نوع من الحصار الاقتصادي على الجزائر وتطوان فإن **"فليب الثاني:** أمر بسد مدخل نهر تطوان لمنع تردد السفن الجزائرية على تطوان أو خروجها منها، ولكن محاولة الإسبان لذلك سنة كانت دون جدوى إذ أن التيار جرف الصخور، واستمرت السفن الجزائرية تروح وتغدو إلى تطوان لمختلف الأغراض الاقتصادية[5].

---

(1) محمد الصغير الإفراني: نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، المرجع السابق، ص 158.

(2) *MONRY: Du Commerce des peoples de l'afaique Septentuonel, paris, 1845, P 187.*

(3) نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص 159.

(4) هايدو ديغو: المرجع السابق، ص 46.

(5) مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 243.

* **مدينـة فـاس:** كانت فاس حاضرة المغرب الأولى في عهد المرينيين والوطّاسين، وأحد مراكز التجارة والصناعة في المغرب.

وكانت المبادلات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينة فاس تتم عن طريق البر والبحر، والمبادلات البحرية كانت تتم عبر ميناء بادس ولا سيما تطوان، وعبر هذه المدينة الأخيرة كان التجار الجزائريون يصدّرون إلى فاس ما تقدم ذكره من البضاعة كالسيوف والخناجر والأقمشة الهندية والتركية[1].

ومن بين هؤلاء التجار اليهود في الجزائر، وعن طريق البحر والبر كانت الجزائر تحصل على ما تقدّم ذكره من بضائع المغرب كالعسل والصابون وغير ذلك...[2].

* **مدينـة سـلا:** ازدهرت هذه المدينة ونمت بعد استقرار الأندلسيون فيها خاصةً بعد النفي الأكبر، ونشأ بينها وبين مدينة الجزائر علاقات اقتصادية قوية، حيث كان أتراك الجزائر يترددون على "**سـلا**" لبيع مغانمهم من الغزو البحري، كما يأتي غزاة سلا لبيع غنائمهم في الجزائر[3].

كما كان غزاة "**سـلا**" والجزائر يخرجون أحيانًا في عمليات مشتركة للغزو البحري قد يصلون إلى الشواطئ الإنجليزية والإيرلندية.

فإنّ سلا كانت لها تجارة واسعة عن طريق البّر ليس فقط مع الجزائر ولكن أيضًا مع تونس، بفضل قافلتها التجارية[4] البرية، والتي كانت تتحرك كل سنة مرة بتلمسان ومعسكر ومدينة الجزائر التي غدا للسلاويين فيها شارع يسمى باسمهم مرورًا بقسنطينة، وذلك عن طريق ذهابها إلى تونس[5].

---

(1) هايدو ديغو: المرجع السابق، ص 85.

(2) نفسه: ص 88.

(3) نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص 165.

(4) نفسه: ص 169.

(5) هايدو ديغو: المرجع السابق، ص 54.

خلاصة:

ومن كل ما تقدم نستخلص أن العلاقات الاقتصادية بين الجزائر والمغرب في الفترة المدروسة استمرت قائمةً كما كانت في المراحل السابقة، ولم تأخذ صبغة سياسية إن لم يسع الحكم في البلدين إلى اخضاعها إلى اتفاقيات معينة، في وقت أخذت الرسوم الجمركية بين البلدان تكتسب أهميةً أكبر فأكبر، ولعل اعتماد الحكم في البلدين على الأسس الإسلامية السُنيّة المالكية الواحدة في مختلف الأصول والمبايعات والتبادلات والمكوس الشرعية، لم يشعر الحكم في البلدين إلى ضرورة اللجوء إلى مثل تلك العلاقات.

المبحث الثالث

العلاقات الاجتماعية والثقافية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

المبحث الثالث

العلاقات الاجتماعية والثقافية

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في العلاقات "قديمة، جديدة"

المطلب الثاني: مظاهر العلاقات الاجتماعية والثقافية

المطلب الثالث: مراكز التبادل الثقافي

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في العلاقات الاجتماعية والثقافية

تأثرت العلاقات بين الجزائر والمغرب بعوامل قديمة وأخرى جديدة.

أ- العوامل القديمة:

* **جغرافيًا:** فالبلدان متجاوران، أحدهما امتداد للآخر، لا فاصل طبيعي وحقيقي يفصل بينهما، وبالتالي ليس هناك ما يحول دون اتصال سكانهما، أو احتكاكهم ببعضهم، أو انتقالهم من بلدٍ إلى آخر، أو ما يمنع من تشابه الحياة الاجتماعية والثقافية بينهما.

* **تاريخيًا:** فقد كان البلدين خلال فترات طويلة بلدًا واحدًا تحكمهما دولة واحدة، سواءً في العهد الإسلامي، أو قبل الإسلام، وكانت تلك الفترات كافية لتمتين الروابط بين البلدين وترسيخها، ولو انفصلا عن بعضهما فيما بعد[1].

* **بشريًا:** يعود أصل سكان البلدين إلى قبائل البربر والعرب، وترجع أصول القبائل البربرية في البلدين إلى المجموعات البربرية الخمسة، وهي: زناتة، صنهاجة، مصمودة، هوارة، دغمارة[2].

* **دينيًا:** يشترك القطرين في الروابط الدينية المتمثلة في الدين الإسلامي والمذهب السّني المالكي، كانا ولا يزالان يسودان في كل البلدين سيادة مطلقة على ما سواها ويشدانها شدًا قويًا.

وإن الطريقتين الصوفيتين والشاذلية والقادرية، وفروعهما كانت قائمةً في كلا البلدين[3].

* **ثقافيًا ولغويًا:** بسيادة الدين الإسلامي، سادت معه الثقافة العربية والإسلامية، وتجانست فيها اللغة واللهجات، وطرق التدريس، ومواد الدراسة والكتب، مما كان يزيد في قوة الروابط

---

[1] حسن الوزان: المصدر السابق، ص 308.

[2] ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 336.

[3] نفسه: ص 331.

بين أفراد المجتمعين الجزائري والمغربي، إذ كانت معاهد البلدين دومًا مفتوحة في وجه طلابها[1].

ب- العوامل الجديدة:

تحكمت جملة من العوامل الجديدة في العلاقات الاجتماعية والثقافية بين البلدين وهي:

* **الغزو الخارجي الإسباني والبرتغالي:** فقد تسبب في خراب كثيرٍ من المدن الكبرى الساحلية كوهران وبجاية وأغادير وسبتة، ومليلة وغيرها مراكز اجتماعية وثقافية هامة تتم فيها المبادلات الثقافية بين البلدين[2]، حيث كان يقصدها طلاب وعلماء من الجزائر والمغرب، ممّا أثر في الحياة الثقافية بينهما.

فنتيجةً لخراب الكثير من هذه المدن بعد احتلال الإسبان والبرتغاليين لهم وجلاء السكان عنهم، لم تنشط الهجرة الداخلية من تلك المدن، ومن المراكز الأخرى المهددة نحو المراكز الداخلية البعيدة عن الشواطئ[3].

* **هجرة الأندلسيين:** لعبت هجرة الأندلسيين إلى القطرين على حدٍ سواء دورًا هامًا في العلاقات الاجتماعية والثقافية، فكان لهم الفضل في تنشيط المدن وتعميرها، وإنشاء مراكز ثقافية هامة كانت قبلةً للعلماء والطلبة من القطرين، وقد كان الأندلسيون بصفةٍ عامة بمن فيهم العلماء والطلبة منهم، كثيري الحركة والتنقل بين البلدين طلبًا للعلم، أو ابتغاء العمل والجاه أو جمع الشمل[4].

* **قيام الحكم العثماني في الجزائر والسعدي في المغرب:** قيام الأتراك العثمانيين حكامًا في الجزائر خلفًا للزيانيين والحفصيين، وتنافسهم مع السعديين خلفاء الوطّاسين في المغرب فأثره على العلاقات بين الجزائر والمغرب في المجال الثقافي والاجتماعي يمكن أن تراه في

---

(1) ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 337.

(2) نفسه: ص 371.

(3) ابن عسكر: المصدر السابق، ص 64.

(4) ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 376.

التأثيرات[1] والحضارات الثقافية التي أدخلها الأتراك العثمانيون إلى الجزائر وانتقال تلك التأثيرات إلى المغرب كاللغة التركية والمذهب الحنفي والتنظيمات الإدارية والعسكرية والعادات والتقاليد الاجتماعية، إضافةً إلى حركة الهجرة القوية للمثقفين الجزائريين والمغاربة وغير المثقفين التي شهدها عهدهم ولا سيما من الجزائر والمغرب، وكانت هناك هجرة لاستكمال الدراسة، وهجرة للعمل، وهجرة للم الشمل[2].

[1] ابن القاضي: درة الحجال في غرّة أسماء الرجال، ج2، المطبعة الجديدة، مونشو، الرباط، 1934م، ص 263.

[2] ابن عسكر: دوحة الناشر، المصدر السابق، ص 14.

المطلب الثاني: مظاهر العلاقات الاجتماعية والثقافية

إنّ المتأمل في العلاقات الاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في الفترة المدروسة يجد أنها اتخذت طورًا ومظاهر متعددة منها:

أ- العلاقات في المجال الاجتماعي: وتتجلى في:

*** المصاهرات بين الجزائرين والمغاربة:** وهي نوعان:

1- مصاهرات عامة: بين الجزائريين والمغاربة من مختلف الفئات من غير الحكام، وهي مصاهرات آلية من غير أطماع سياسية.

مثل: زواج الطالب الجزائري "**أبي مهدي عيسى الثعالبي**" من ابنه أستاذه على "**ابن عبد الواحد السجلماسي المغربي**" الذي استوطن بالمغرب بسبب التدريس في بداية القرن **16م**[1].

2- مصاهرات ذات طابع سياسي: بين فئة الحكام في البلدين، وهي مصاهرات لا تخلوا من مطامع من الطرفات لتحقيق أهداف عن طريق المصاهرة.

مثل: زواج بعض الأمراء الوطاسين والسعدين من بنات حكام الجزائر وأشراف القوم فيها مثل زواج الأمير الوطاسي "**ابن بكر بن السلطان أحمد الوطاسي**" الذي تزوج بعد لجوئه إلى الجزائر من ابنه "**صالح رايس**" بايلر باي الجزائر **(1552-1556)**[2].

*** تملّك بعض الجزائريين والمغاربة للإقطاعات في مهجرهم:**

تذكر الوثائق التاريخية تملك بعض الجزائريين اقطاعات في المغرب عن طريق المنح أو العطاء من حكام المغرب أو الشراء، وهناك أيضًا بعض المغاربة ولا سيما بعض الأمراء السعديين وأتباعهم الذين هاجروا معهم إلى الجزائر والذين منحهم حكام الجزائر الأتراك

---

(1) ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 366.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 1550-1830، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ص 1998م، ص 183.

اقطاعات خاصة مثل: "**عبد المؤمن**" و"**عبد الملك**" وغيرهما، ولا شك أنّ مالكي الإقطاعات من المغاربة في الجزائر ونظرائهم من الجزائر في المغرب كثيرون[1].

* **وجود جالية في القطرين:** كنتيجة لحرية التنقل بين البلدين للأفراد والجماعات، ومواقف حكام البلدين من المهاجرين إلى بلدهم، فقد كان حكام البلدين يرحبون بالوافدين عليهم من البلد المجاور، فكان هناك دومًا جالية جزائرية كبيرة في المغرب، وجالية مغربية كبيرة في الجزائر، حيث استوطنت الجالية الجزائرية في المغرب في المدن التالية: فاس، مراكش، سجلماسة، تطوان، وبالمقابل الجالية المغربية استوطنت المدن الجزائرية في تلمسان، مدينة الجزائر، قسنطينة[2].

ب- العلاقات في المجال الثقافي: تتجلى في:

* **تنقل العلماء والطلبة الجزائريين والمغاربة بين البلدين:** فكان تنقلاً طوعيًا أو قصريًا للأخذ أو العطاء أو الغرضين معًا، إذ كانت حركة تنقلهم نشيطة فيها أكثر من الحقبة السابقة لها، للظروف التي شهدتها البلدان السياسية والأمنية على الخصوص[3].

فقد ساهم المهاجرون من مثقفي الجزائر إلى المغرب في تنشيط الحياة الثقافية فيه، وإعمار مراكز ثقافية كثيرة، ويعود الفضل في نشاط الحياة الثقافية في المغرب كان قائمًا إلى حدٍ كبير إلى جهود عديدٍ من العلماء الجزائريين الذين استوطنوا المغرب، إذ كاد لا يخلو أي مركز من المراكز الثقافي في المغرب لا سيما الكبرى منها من عالمٍ جزائري بارز أو أكثر للتدريس فيه، أو للإمامة أو للإفتاء والقضاء.

مثل: "**علي المطغري- محمد شقرون، وغيرهم**"، والذين تخرج على أيديهم أغلب طلبة المغرب وعلمائه[4].

---

(1) ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 364.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 188.

(3) محمد الصغير الإفراني: المرجع السابق، ص 42.

(4) ابن عسكر: دوحة الناشر، المصدر السابق، ص 18.

المطلب الثالث: مراكز التبادل الثقافي في المغرب والجزائر

إذا تأملنا في المراكز الثقافية الموجودة في القطرين سواءً لأخذ العلم منها أو لنشره، يمكن اعتبارها مراكز للتبادل الثقافي بين البلدين، إذ نجد:

أ- مراكز التبادل الثقافي في الجزائر:

* **مدينة تلمسان:** كانت تلمسان من أهم المراكز العلمية بالجزائر، فكانت مقصد الكثير من المثقفين المغاربة من طلبة وحتّى علماء، يأتون إليها للأخذ عن علمائها. ومن أبرز مثقفي المغاربة الذين قصدوا تلمسان لنهل العلم نذكر: "**أبو عبد الله محمد بن أحمد اليسيتني**"، و"**أبو عبد الله أبو موسى الوجدي**"[1].

ومع بداية النصف الثاني من القرن **16م** لم تعد تلمسان مركزًا ثقافيًا جذابًا للطلبة إذ لم يكن من العلماء البارزين غير "**سعيد المقري**"، في حين كانت المراكز الثقافية المغربية تعجُّ بأمثاله من علماء المغرب، والعلماء الوافدين من تلمسان وتونس وغيرها.

أما علماء المغاربة فأخذوا يتوجهون إلى العاصمة الجديدة الجزائر وإلى عاصمة بايلك الشرق قسنطينة[2].

* **مدينة الجزائر:** أصبحت مركزًا ثقافيًا مقصودًا من قبل علماء المغرب والمشرق بشكلٍ ملموس يعد أن استقر أمرها للأتراك العثمانيين، وأصبحت عاصمة الدولة الجزائرية الحديثة، ومركز نشاط اقتصادي كبير، ومن بين مثقفي المغرب الذين قصدوها في الفترة التي تهمنا نجد "**الحسن الوزّان**" الذي دخلها قبل أن تصبح تحت حكم العثمانيين بقليل، حيث مكث فيها فترةً قصيرة، حيث اتصل خلالها بأشراف القوم فيها، إضافةً إلى "**عبد الواحد بن محمد المكناسي**" الذي هاجر إلى الجزائر واستقر بها إلى أن وافته المنية عام **1580م**، حيث كان فقيهًا ونحويًا[3].

---

(1) ابن مريم التلمساني: ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1968م، ص 60.

(2) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص 127.

(3) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 318.

* **مدينة قسنطينة:** رغم الاضطرابات التي عرفتها في الفترة المدروسة ظلّت مركزًا مقصودًا من قبل المثقفين المغاربة وربما أكثر من المراكز الأخرى، ونظرًا للهيئة العلمية الموجودة آنذاك والمؤلفة من "**عمر الوزّان، محمد العطّار، عبد الكريم الفكون...**"[1] ممّا جعل عددًا لا بأس به من علماء المغاربة يقصدون مدينة قسنطينة للأخذ من علمائها أمثال: "**محمد بن أحمد اليسيتني**" الذي أخذ عن "**عمر الوزّان**"، و"**سعيد الماغوسي**" من أهل مراكش الذي قصد قسنطينة للأخذ عن "**الشيخ عبد الكريم الفكون**"[2].

*** مراكش التبادل الثقافي في المغرب:**

* **مدينة فاس:** غدت فاس منارةً للعلم بفضل جامع القرويين المؤسس بداية القرن **9م** وهيئته العامة التي كانت تتألف من مشاهير علماء المغرب، والبلاد المجاورة مركزًا ثقافيًا لا يفتأ يزداد أهميةً ، حتّى بلغ ذروته في عهد المرينين والوطاسين[3] من بعدهم، فصار مقصدًا للعلماء، حيث ظلّت فاس بفضل جامعها ومدارسها مركزًا ثقافيًا بين الجزائر والمغرب، وبين علماء الجزائر وطلبتها الذين أقاموا في فاس: "**محمد بن محمد بن عباس التلمساني**" والذي رحل إلى فاس في عهد السلطان العباسي **(1526-1546م)** فقدمه للتدريس في جامع القرويين، "**محمد بن عزوز الديلمي الفقيه الحافظ**"، الإمام المقرئ رحل إلى فاس في آخر عمر وتوفي بها.

ولما كان معظم طلبة الجزائر وعلمائها الذين هاجروا إلى فاس، وأثروا الاستقرار فيها بصفةٍ نهائية، فإن هجرتهم تلك كانت تترك فراغًا كبيرًا في المراكز التي هاجروا منها[4].

* **مراكش:** انتعشت مراكش مطلق القرن **16م** وازدهرت الحياة الثقافية فيها، حيث أصبحت عاصمةً للمغرب، ونافست مدينة فاس في المركز العلمي الأول في المغرب، وتفوقت عليها فضل من نزح إليها من علماء فاس نفسها، وسائر حواضر المغرب، غدت مراكش مع بداية

---

(1) أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 201.

(2) ابن مريم التلمساني، المرجع السابق، ص 57.

(3) ابن عسكر: دوحة الناشر، المصدر السابق، ص 41.

(4) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 385.

النصف الثاني من القرن **16م**[1] مركزًا ثقافيًا قصده كثيرًا من المثقفين الجزائريين، إمّا للأخذ من علمائها أو للمساهمة في تنشيط الحياة الثقافية فيها وبنشر العلم، أو المناقشة والمناظرة مع أهل العلم فيها، ومنهم من استوطن بها بصفةٍ نهائية خاصةً في العهد السعدي الأول أمثال: "**محمد بن علي الخروبي الطرابلسي**" عزيم الجزائر، ذهب إلى مراكش سنة **1552** ودخل في مناقشات مع كبراء مرابطي مراكش خاصةً "**عمر القسطلي**"[2].

* **تطوان:** لم تبرز تطوان كمركز ثقافيًا في شمال المغرب، ومركزًا للمبادلات الثقافية بين المغرب والجزائر إلاّ في القرن **16**، بعد أن أعاد بناءها الأندلسيون أواخر القرن **15**، إلاّ أن تطوان لم تبلغ ما بلغته فاس أو مراكش، حيث كان اهتمام أهلها وأكثرهم الأندلسيين موجهًا لمقارعة الغزو الإسباني والبرتغالي، فالجزائريين الذين قصدوا تطوان واستوطنوها كانوا على الخصوص من المثقفين الذي أتّموا دراساتهم في الجزائر، أو في فاس بالمغرب، أو في المشرق وجاؤوا إليها للمساهمة في نشر العلم بها، ومن[3] هؤلاء: "**أبو قاسم بن سلطان القسنطيني**" الذي استقر بتطوان وأخذ عن علماء كثيرين بالمشرق "**كالتاجوري**" وكان فيها خطيبًا مدرسًا للفقه.

إضافةً إلى "**أحمد بن يوسف الزياني**" ساهم هو الآخر في نشر العلم في تطوان سنين طويلة، بعد أن نهل من معاهد فاس، استوطنت أسرته شمال المغرب سنة **1551**[4].

---

(1) حسن الوزان: المصدر السابق، ص 389.

(2) مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 59.

(3) ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص 387.

(4) ابن عسكر: دوحة الناشر، المصدر السابق، ص 17.

خلاصة:

وخلاصة القول أن العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب والجزائر اتخذت صورًا متعددة من تنقلٍ لرجال العلم وطلبته، والتجار، والعمال وغيرهم بينهما، واعمار متبادل بالعلماء والطلبة للمراكز الثقافية المتعددة في البلدين، وقيام مصاهرات عديدة بين الجزائريين والمغاربة، ومناقشات فكرية ودينية متواصلة بين المثقفين منهم، وكل هذه الصّور صور لا صبغة رسمية لها، ولا معاهدات تحدّدها.

وإنّما أتت طبيعية وعفوية، فرضتها عناصر الترابط الأصيلة بين البلدين، من وحدة في العنصر والدّين ولغة الثقافة والقرب الجغرافي والصلة الواحدة المنفتحة على أجزاء العالم الإسلامي، وبذلك تجاوزت هذه العلاقات الاجتماعية والثقافية الأطر السياسية، وكانت هي المؤثر الأقوى والأكثر في الصلات بين شعبي البلدين.

الخاتمة

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université - M'sila

خاتمة:

بعد هذا الوصف في العلاقات بين البلدين الجزائر والمغرب الأقصى خلال الفترة الممتدة من **1513** إلى غاية **1554** نستنتج ما يلي:

– أن العلاقات بين الشعبين علاقات ذات طابع عفوي، لم تتحكم فيها السلطات السياسية بشكلٍ مباشر، ولم تخضع لمفاوضات أو معاهدات ولا اتفاقيات، كما أنها كانت موروثة من الأجيال وتشمل بصفةٍ خاصة في الصلات الاقتصادية والفكرية والاجتماعية بين المجتمعين الجزائري والمغربي.

– أن العلاقات بين الحكومات المتتالية بين البلدين، هي على الخصوص علاقات سياسية، قد تم التعرف خلالها بأهداف تلك الحكومات ومصالحها السياسية، كالبحث عن أمنها وسلامتها أو تدعيم قوتها ومد سيطرتها، أو الحفاظ على هيبتها ونفوذها والحصول على مكاسب اقتصادية.

– كانت تلك العلاقات السياسية سواءً منها الدائمة أو العفوية أو المتذبذبة، فهي تتراوح بين حرب ضروس تارةً، وسلم قلق تارةً، وائتلاف وتوافق مرةً، وحربٍ باردةٍ تارةً أخرى.

– في الجانب الاقتصادي تأثرت العلاقات بين البلدين بعدة عوامل داخلية كحياة الغزو بين القبائل وخارجية بفعل الغزو الأوروبي الذي خرب أهم المراكز التجارية في البلدين، حيث أثر بشكلٍ مباشر على الحياة الاقتصادية فيها.

– نوع العلاقات الاقتصادية كانت على شكل وسيط يوحي أكثر منها علاقات منتج بمنتج، فعلاقات البلدين الاقتصادية مع أوروبا، أو بلاد السودان وحتى الشرق، كانت أكبر من علاقات البلدين.

– لعبت مراكز التبادل التجاري بين البلدين دورًا هامًا في تنشيط العلاقات الاقتصادية كمدينة الجزائر، أو تطوان وفاس.

– أما عن العلاقات الاجتماعية فقد كانت علاقة مصاهرة، إقامة متبادلة بين القطرين، ومما سهل ذلك عدم وجود حدود سياسية بين البلدين، وتأسيس أسر في القطرين.

– نتد عن تبك العلاقات تَمّلُك بعض الجزائريين والمغاربة لإقطاعات في مهجرهم سواءً بالجزائر أو المغرب.

– ثقافيًا عرفت تلك العلاقات تنقل العلماء والطلبة بين القطرين سواءً بشكلٍ طوعي أو قصري في تطوير وتحيين المستوى التعليمي للبلدين.

– لعبت هجرة الأندلسيون واليهود إلى البلدين دورًا بارزًا تجلى في الترجمة والمستشارين.

– عرفت الجزائر الثقافية حركية نشيطة لعبتها المراكز الموجودة في القطرين، كمدينة فاس، تطوان بالمغرب وتلمسان وقسنطينة في الجزائر، التي أثرت في المناقشات والمناظرات الفكرية، وعمل جل العلماء كخطباء وأئمة ومدرسين في المراكز الثقافية في البلدين.

الملاحق

1985
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى (1554 - 1613)

إعداد الطلبة:

1- خلوفي أميرة رقم التسجيل: 2008508231 7

2- الوالي مريم رقم التسجيل: 2013051448

القسم: تاريخ **الشعبة:** تاريخ التخصص تاريخ الجزائر الحديث

إشراف: بيرم كمال **الرتبة:** بروفيسور

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2021-2022 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة): **رئيس فريق الاختصاص**

رئيس القسم

لتحميل الوثيقة يرجى نسخ الرمز

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES
Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2022

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضي ادناه :

السيد(ة): خلوفي أحسينة

الصفة(طالب, استاذ باحث, باحث دائم):

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: ر.س = 193/6922009

الصادرة بتاريخ : 2017.12.17 عن دائرة : أولاد دراج

المسجل بكلية: العلوم الانسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث تحت رقم التسجيل: 2008508223.17

والمكلف بإنجاز اعمال بحث(مذكرة الخرج, مذكرة ماستر' مذكرة ماجستير' اطروحة دكتوراه)

عنوانها: العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى (1554 - 1513)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 2022-06-19

امضاء المعني (ة):

عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض منه نائب الأمين العام للبلدية
ماسعودي عبد الرزاق

المرجع: القرار الوزاري رقم 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.

نظر وسن من توقيع
العبد
بتاريخ 19 جوان 2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: /2021

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

انا الممضى ادناه :

السيد(ة): مريم الوالي

الصفة(طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 056772227

الصادرة بتاريخ: 2007-08-02 عن دائرة: بئر العاتر

المسجل بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

تخصص: تاريخ وسائط مكتوبة (18 - 518) تحت رقم التسجيل: 0M13051448

والمكلف بانجاز اعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، اطروحة دكتوراه)

عنوانها: العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى (1554 - 1513)

اصرح بشرفي بانني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الاخلاقيات المهنية والنزاهة الاكاديمية المطلوبة في انجاز البحث المذكور اعلاه

المسيلة في: 14 جوان 2022

امضاء المعني (ة):

عبد الله عمار

المرجع القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28-07-2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية

REDMI NOTE 8 PRO
AI QUAD CAMERA

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر

1. ابن القاضي: درة الحجال في غرّة أسماء الرجال، ج2، المطبعة الجديدة، مونشو، الرباط، 1934م.

2. ابن عسكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من تاريخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، ط2، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977م.

3. ابن مريم التلمساني: ذكر الأولياء والعلماء يتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1968م.

4. حسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983م.

5. السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق وتعليق: ولدي المؤلف صاحب السعادة، جعفر ناصر، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م

6. محمد الصغير الإفراني: نزهة الهادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق: عبد اللطيف الشاذلي، ط1، المغرب، 1998م.

7. مذكرات خير الدين بربروس: تر: محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م.

8. مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب)، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، إدارة دار الشؤون الثقافية العامة.

9. مؤلف مجهول: تاريخ الدولة السعدية، تصحيح: جورج كولان، المغرب، 1934م.

10. مؤلف مجهول: غزوات عروج وخير الدين، تحقيق وتعليق: عبد القدر نور الدين، الجزائر، 1934م.

11.هايدو ديغو: تاريخ ملوك الجزائر، تر: أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، عين مليلة.

2- المراجع

1.أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، 1550-1830، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

2.أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 17472-1795، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

3.أوجان فايسات: تاريخ قسنطينة خلال الفترة العثمانية 1517-1837، دار كنوز يوغرطة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، قسنطينة، 2019م.

4.أوغست كور: دولة بني وطاس 1420-1554، ترجمة: محمد فتحة، منشورات كلية الآداب والعلوم، الرباط، 2010م.

5.بن حادة عبد الرحيم: المغرب والباب العالي من منتصف ق 16 إلى نهاية ق16، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، 1998م.

6.جمال قنان: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1987م.

7.جون. ب. وولف: الجزائر وأوروبا، ترجمة وتعليق: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

8.صالح العقاد: المغرب الغربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، ط6، المكتبة الأنجلو مصرية، 1993م.

9.صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، ط1، دار هومة، الجزائر، 2012م.

10.عبد الرحمن بن حمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

11.عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة المغرب العربي، ج6، مكتبة مدلولي، القاهرة.

12.عبد الله مقلاتي: المرجع في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الزائر، 2014م.

13.عثمان سعدي: الجزائر في التاريخ، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

14.عزيز سالمح آلتر: الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1999م.

15.علي العبيدي: صفحات من تاريخ الجزائر (وسيط، حديث، معاصر)، دراسات تاريخية، ج2، النشر الجامعي الجديد، الجزائر، تلمسان، 2020م.

16.عمار بوحوش: تاريخ الجزائر السياسي من البداية ولغاية 1962، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

17.ليلى الصباغ: تاريخ العرب الحديث والعاصر، دمشق، 1981م.

18.مارمول كاربخال: وصف إفريقيا، ج2، تر: أحمد توفيق، سعد الأخضر، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب 1984م.

19.مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية.

20.محمد الكراسي: عروسة المسائل في تاريخ تطوان، مجلد 01، المغرب، تطوان، 1959م.

21.محمد بن عمرو والطمار: تلمسان عبر العصور، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 2007م.

22.نور الدين عبد القادر: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني، دار الحضارة، الجزائر

23.هوارية بكاي: العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى من دخول العثمانيين إلى سقوط الدولة الزيانية، النشر الجامعي الجديد، 2020م

24.الورتلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيير فونتانا، الجزائر، 1908م.

25.يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا 1500-1830، دار البصائر، 2009.

1- المراجع باللغة الفرنسية:

1. MONRY: Du Commerce des peoples de l'afaique Septentuonel, paris, 1845.

2. MOULAY BELHASSIMI: Marine et Marins D'Alger (1518-1830), Bileliotheque National D'Algerie, 1996.

3. Richar (P): Les arts et industries indigenes du nord de l'afrique (ART RUNAUX) FEZ 1918.

3-الرسائل الجامعية

1. عبد القادر فكاير: الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية 1505-1792.

2. عمار بن خروف: العلاقات بين الجزائر والمغرب 1517-1659، قسم التاريخ، جامعة دمشق.

3. هوارية بكاي: العلاقات الزيانية المرينية سياسيًا وثقافيًا، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2007-2008م.

4-المجلات والمقالات

1. عبد الجليل التميمي: أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519، المجلة التاريخية المغربية، العدد 06، تونس، 1976م.

2. ناصر الدين سعيدوني: الجالية الأندلسية بالجزائر، مساهماتها العمرانية ونشاطها الاقتصادي ووضعها الاجتماعي، مجلة أوراق، المعهد الإسباني الغربي للثقافة، 1984م.

فهرس المحتويات

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

فهرس المحتويات

مقدمة:..... أ

المبحث الأول

العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب

المطلب الأول: المغرب الأوسط (الجزائر والأوضاع) 7

المطلب الثاني: المغرب الوطاسي نحت الحكم الوطاسي (1472-1554م) 10

المطلب الثالث: علاقة الزيانيين وأتراك الجزائر بالوطاسين والسعديين 13

خلاصة:.....28

المبحث الثاني

العلاقات الاقتصادية

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في العلاقات "داخلية، خارجية" 31

المطلب الثاني: مظاهر العلاقات الاقتصادية "زراعية، صناعية، تجارية".....34

المطلب الثالث: مراكز التبادل التجاري.....36

خلاصة:.....40

المبحث الثالث

العلاقات الاجتماعية والثقافية

المطلب الأول: العوامل المؤثرة في العلاقات الاجتماعية والثقافية.....43

المطلب الثاني: مظاهر العلاقات الاجتماعية والثقافية 46

المطلب الثالث: مراكز التبادل الثقافي في المغرب والجزائر 48

خلاصة: 51

خاتمة: 53

قائمة المصادر والمراجع 60

فهرس المحتويات 66

الملخص:

يتمحور موضوع الدراسة حول العلاقات بين الجزائر والمغرب الأقصى في الفترة الممتدة بين سنتي 1513-1554م في المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وما تخللته من تجاذبات بين حكام القطرين وشعبي البلدين.

الكلمات المفتاحية: العلاقات، الجزائر، المغرب الأقصى.

Summary:

The subject of the study revolves around the relations between Algeria and Morocco in the period between 1513-1554 AD in the political, economic, social and cultural fields, and the interactions that took place between the rulers of the two countries and the peoples of the two countries.

Keywords : relations, Algeria, Morocco.

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

تم بحمد الله